حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٩ ( عدد أكتوبر – ديسمبر ٢٠٢١)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

# المجال العام المعاصر والمكان الثالث

## " دراسة اجتماعية للأماكن الشبابية "

**نيرة علوان***

مدرس علم الاجتماع بكلية الآداب جامعة القاهرة
naieraelwan@hotmail.com

## المستخلص

ارتكزت هذه الورقة البحثية على بناء ثالوث مفاهيمي مترابط بمزج بين المجال العام غير التقليدى والمعاصر والمكان الثالث والهابيتوس الشبابى، وقد استخدمت الدراسة منهج وصفى تأويلى استقرائى، واهتمت بدراسة الأماكن التى يرتادها شباب الطبقة الوسطى، واعتمدت على أداتى الملاحظة والمقابلة، وقد توصلت الدراسة الى أن المجال العام الشبابى غير تقليدى ومعاصر ويعمل كمساند للنسق التعليمى والاقتصادى، وكمجال للإحتجاج السلبى على النسق السياسى، كما ساهم فى اضفاء مرونة عل النسق الثقافى، وقد اظهر البحث الميدانى كذلك ان المجال العام الشبابى يتميز بوجود هابيتوس شبابى جديد وثقافة مميوة للشباب. كما ظهر للمكان الثالث سلطته المميزة والتي انعكست فى سلطة المكان على الملبس والتحديد الطبقى للجمهور واللغة بل وخلق بناء قوة متخيل داخل المكان.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠٢١.

**أولاً: مقدمة في إشكالية الدراسة وتساؤلاتها:**

ارتكزت هذه الورقة البحثية على بناء ثالوث مفاهيمي مترابط يمزج بين المجال العام غير التقليدي (المعاصر) والمكان الثالث والهابيتوس الشبابي، وقد ارتبط هذا الثالوث المفاهيمي بثالوث نظري يفسره لكل من هبرماس ونقاده و أولدنبرغ وبيربورديو. حيث أن الإقتراب من المجال العام لفهمه بالشكل التقليدي فقد صلاحيته في تحليل الواقع في الحياة المعاصرة، خاصة في ظل الحركية والإنسيابية المتسارعة في المجتمعات الحديثة، حيث ظهرت دلالات ومعاني جديدة لمفهوم المجال العام وظهرت استعمالات مختلفة عبر الزمان والمكان فأصبح هناك إمكانية للتأثير البرجوازى على المجال الهام المعاصر، كما تراجعت فكرة الرأى العام الجمعى وظهرت ثقافة التحدى، بهذا ظهرت جوانب مادية ملموسة وأخرى رمزية، ولذا أصبح هناك ضرورة لدراسه انعكاس الفهم المعاصر للمجال العام على الأماكن الشبابية (المكان الثالث) بإعتبارها تضم شبكات اجتماعية متعددة ولها أدوار مختلفة ويمكن أن ننظر لها بإعتبارها القطاع الذى يضفى حيوية على المجال العام بسماته المميزة كالحيادية وسهوله الوصول والتكيف، وتعدد هوايات وطابع تلك الأماكن، واعتبارها مجالاً للنقاش والترفيه. وقد كان الاهتمام بالشباب لما للشباب من قوة مفترضة يقابلها غياباً واضحاً بالاهتمام بدورهم في المجال العام، وما قد يمكن أن تفرزه علاقة الشباب بالمكان من هابيتوس شبابي مميز أو ثقافة فرعية مختلفة، ولهذا فإن هذه الورقة البحثية تهدف للتعرف على شكل ودور المجال العام كما انعكس فى المكان الثالث الشبابي، وذلك من خلال الإجابة على تساؤلين رئيسين أحدهما يتعلق بالمكان أو المجال والثاني يتعلق بالفاعلين وعلاقتهم بالمكان وهما:

١-هل يشكل المكان الثالث الشبابي مجالاً عاماً معاصراً؟ ويتفرع عن هذا التساؤل عدداً من التفرعات الفرعية وهى:

أ- ما هي الأجواء الحديثة في الأماكن الشبابية؟

ب- ماهى معايير اختيار الثالث الشبابى؟

ج- ما هي الاستعمالات المستحدثة للمجال العام الشبابى؟

٢-ما هي علاقة المكان الثالث كمجال معاصر بالشباب؟ وينبثق عن هذا التساؤل عدداً من الأسئلة الفرعية وهى:

أ- هل أفرزت علاقة الشباب بالمكان هابيتوس شبابى مميز؟

ب-هل يمكن أن يكون المجال العام الشبابى مجالاً للاحتجاج؟

ج- هل هناك سلطة للمكان على الشباب؟ وما هي أهم مظاهر سلطة المكان على الشباب؟

**ثانياً: المفاهيم الإجرائية:**

١-**المجال العام المعاصر:** "سوق للأفكار، ومسرح للنقاش العقلاني، يتسم بتراجع فكرة الوعي الجماعي والرأي الجمعي ولا يقوم على أسس طبقية، ويلعب أدواراً مستحدثة وغير تقليدية".

٢-**المكان الثالث:** "هو مكان خارج نطاق المنزل والعمل، ويتسم بالحيادية ويسهل الوصول إليه، والأحاديث هي النشاط المميز به".

٣-**الأماكن الشبابية:** "هي المكان الثالث الشبابي بسماته المختلفة، وأمثلته المقاهي الحديثة والكافيهات".

**ثالثاً: الاستراتيجية المنهجية:**

**١- المدخل المنهجى:**

استخدمت هذه الدراسة منهج وصفى تأويلى استقرائى، حيث ركزت الدراسة على الاستكشاف الاثنوجرافى Ethnographic Exploration لعدد من الأماكن الشبابية بإعتبارها تجسيد للمجال العام المعاصر، و حاولت الدراسة استخدام أساليب الوصف المكثف.

**٢- مجتمع الدراسة:**

اهتمت الورقة البحثية بالأماكن التي يرتادها شباب الطبقة الوسطى، وكذلك بعض المقاهي الثقافية، ومن هذه الأماكن: "كافيه ريتش- سيلنترو- لاتينو- عيش وملح- كوستا- أرجيلا- فيني- ديتاب- أنتخ- ليمون تري- سوكوبا- موكا ... إلخ". وقد تنوعت هذه الكافيهات من حيث مستوياتها.

**٣- أدوات جمع البيانات:**

اعتمدت الدراسة على أداة الملاحظة بشكل أساسي سواءٍ ملاحظة المكان أو ملاحظة الحياة في الكافيهات وأنماط التفاعل، وقد استخدمت الدراسة أداة المقابلة بإجراء مقابلات شبه مقننة مع بعض الشباب مرتادي الكافيهات (٧) من الذكور، و (٦) من الفتيات، تراوحت أعمارهم ما بين ١٨ عام و ٣٤ عام من الشرائح الوسطى والوسطى العليا، وذلك ليس من منبع التحيز الطبقي ولكن لإن هذه الشرائح الطبقية هي جمهور هذه الكافيهات الشبابية، وقد ركز الدليل على استكشاف معايير اختيار الشباب للمكان الثالث واستعمالاتهم للمجال العام الشبابى، وما قد تفرزة علاقة الشباب بالمكان من اشكال ثقافية وهابيتوس شبابى مميز.

**٤- أساليب التحليل:**

استخدمت الورقة البحثية التحليل الكيفي، فسلكت استراتيجية استقرائية لتحليل ما تحصلت عليه من بيانات سواء من الملاحظة أو المقابلة واستخدمت الدراسة تلك البيانات الكيفية للتنظير الموثق من خلال الواقع (Grounded Theory). وذلك في ضوء الأفكار النظرية الخاصة بالمجال العام بشكله الحديث ومفهوم المكان الثالث والهابتيوس الشبابي.

**رابعاً: المجال العام كحيز معرفي ومجتمعي:**

المجال العام "Public Sphere" أو الفضاء العام كما يطلق عليه البعض. في سياق عرضنا عن المجال العام فإن نقطة البدء لدينا هي النشأة والمفهوم.

**أ- المجال العام محاولة للفهم:**

إن فكرة المجال العام بزغت عندما أشار لها هبرماس "Jurgen Habermas" في أطروحته لنيل درجة الأستاذية التحولات البنائية للمجال العام The Structural Transformation of the Public Sphere عام ١٩٦٢ والتي استمد تحليلاته العلمية بها من خلالها عدة علوم منها علم الاجتماع والاقتصاد والقانون والسياسة وكذلك التاريخ وتتبع هبرماس نمو الوعي الذاتي للطبقة البرجوازية الجديدة. وإن لم تكن أفكار هبرماس حول المجال العام لم تنل شهرتها إلا عندما طرحت الترجمة الإنجليزية للعمل على يد توماس برجر Thomas Burger عام ١٩٨٩ (Habermas, 1991). وقد هدف هبرماس من استخدامه للمفهوم إلى توصيف واقع المجتمعات الأوروبية حيث أشار إلى أن جذور المجال العام تعود للعديد من التجمعات التي ظهرت لدى الطبقة البرجوازية المتعلمة في المجتمع الأوروبي خلال القرن الثامن عشر، فقد بزغت في انجلترا المجلات

والصحف والمقاهي، كما ظهرت في فرنسا الصالونات الباريسية، وقد تطور مفهوم المجال العام لديه بعد منتصف ق ١٨٠ ليضيف له أبعاداً سياسية ويناقش قضايا وأمور سياسية كانت أمور تختص بمناقشتها الدول فقط وأفرد لذلك فصلاً كاملاً عن الوظيفة السياسية للمجال العام، وهنا يجدر بنا أن نحدد ما يقصد بمفهوم المجال العام لدى هبرماس "يشير المجال العام لمنطقة الخطاب التي يتم تبادل الأفكار والتعبير عن الرأي العام، وهو مجال يعبر فيه المواطنون عن آرائهم بحرية كما تدور بينهم نقاشات نقدية تتحدد من خلالها، الاهتمامات الاجتماعية وتثار القضايا المختلفة للوصول للصالح العام".

وبهذا فالمجال العام لدى هبرماس هو "مجال للإبداع والمفاوضات ومساحة للأفعال الاجتماعية والاتصال التي تقع بين الدولة والمجتمع المدني"، والفاعلون في المجال العام لديه هم الطبقة البرجوازية المتعلمة، وعلى هذا فالمجال العام هو المجال الذي يظهر رغبات العامة في أشكال مختلفة منها الصالونات الأدبية والنوادي وحلقات النقاش (Jurgen Habermas, 1991, Preface) وبهذا يعبر المجال العام لدى هبرماس عن المصالح والمشاعر المتجددة في المجال الخاص وفي المجال المدني وبهذا يصبح دور المجال العام هو إضفاء قدر من الاتساق على المشاعر المتفرقة من خلال المناقشة والتفاوض المشترك بطرق مشروعة في عملية البحث عن المصلحة المشتركة (أرماندو سالفاتوري: ٢٠١٢، ص٣٠). وقد ظلت أفكار هبرماس حول المجال العام هي المرجع الأساسي في هذا السياق فتظهر أي محاولات للتعرض للمفهوم وإن اختلفت معه في الجدال النظري حول حدود ونشأة ومكونات هذا المجال، إلا أنها تدور في فلك مفهوم المجال العام لدى هبرماس فنجد "تشارلز تايلر" في كتابه "المتخيلات الاجتماعية الحديثة يعرف المجال العام بأنه "فضاء مشترك يلتقي فيه أفراد المجتمع عبر جملة من الوسائط وذلك لمناقشة مسائل ذات اهتمام مشترك والتوصل من خلال ذلك إلى تشكيل مشترك حول هذه المسائل". (تشارلز تايلر، ٢٠١٥)؛ أو هو كما يراه السيديس "مجال للعلاقات الخطابية فالمجال العام بذلك هو مسرح للجدل والنقاش" (السيد يس، ٢٠٠٨، ص١). وهذا ما حدا بالبنك الدولي أن يعرف المجال العام بأنه "سوق حرة للأفكار" ( Free market of Ideas) (World Bank: March, 2018) وبالقطع هذه التعريفات للمفهوم كما أشرنا تدور في فلك مفهوم هبرماس حول المجال العام، وهنا نتسائل إن كان المجال العام هو مجال لإلتقاء الأفكار والرؤى والنقاش العام الذي تتاح به المناقشات النقدية فما هي آليات التواصل داخل هذا الحيز المعرفي أو المجال العام.

**ب- آليات التواصل داخل المجال العام:**

إن فكرة المجال العام عند هبرماس تقوم على فكرة المناقشة والتفاوض العقلاني والجدال حول الصالح العام بين المواطنين، ونقطة البدء هي المجال الخاص ولكن مع التفاوض العقلاني حول الأهداف السياسية تظهر فكرة المصلحة العامة، ولتتم عملية التفاوض العقلاني هذه فإنها تتم من خلال الفعل التواصلي "Communication action" كما أشار هبرماس وهو نمط من الفعل يكمن في عالم الحياة عند كل الناس ويعتمد على تغلغل العقلانية وهو يفرد المجال لينخرط الناس في تفاعل منظم (دريس نوري، ٢٠٠٧، ص٤٦)، والفعل التواصلي هو فعل لا اداتي، لا يمكن اختزاله إلى الفعل الغائي وهو يرمي للوصول إلى الفهم والتفاهم عبر نقاش حر عقلاني، وعبر معايير أخلاقية انطلاقاً من القبول والرضا العام عن طريق الإقناع العقلي لا القوة والقسر (عصام عبد الله: ٢٠٠٦، ص ص ٧: ١١)، حيث أشار هبرماس إلى أهمية أخلاقيات الخطاب

(Discourse ethics) وهي شكل من الأخلاقيات المعيارية ( John Scott: 2006, P.58). ويرى أن أخلاقيات الخطاب تحدث للوصول للفهم، وأساس الوصول للفهم والتواصل هو اللغة، والتي لها عدة استخدامات عند هبرماس هي التفاعل Interactive والتعبير Expressive والتي أساس الفعل التواصلي الذي يهدف إلى تحقيق الاتفاق مع الآخرين في موقف خطابي نموذجي (Ideal Speech Situation) ( Shelton A. Guratne, 2006, PP. 109: 118).

يتسم هذا الموقف بأن كل الموضوعات المطروحة قابلة للنقاش ويسمح لكل شخص بتقديم فكره والتعبير عن اتجاهاته ولا يمنع أي متحدث من الحديث عن طريق مصدر إكراه داخلي أو خارجي. (أماني المهدي، ٢٠١٨)، ويقوم الفعل الاتصالي على احترام أفعال الآخرين بحيث يتم النقاش تجاه المصلحة العامة دون فوضى لأنه فعل قائم على العقل لبناء ما هو عام ومشترك بناء على فكرة الصالح العام، ويعد الرأي العام "Public Opinions" هو المنتج الأساسي للمجال العام ويعد المجال العام للدولة بمثابة السوق للأفراد ولكنه سوق بضائعها المتداولة هي الأفكار (World Bank, 2018, P2) وموضوع المجال العام هو الجمهور حامل هذا الرأي العام. وجدير بالذكر أن المجال العام واسع الامتداد لا حدود واضحة له فهو مساحة عامة تمتد من الدولة إلى الفرد والمجال العام هو مكان متخيل (Anne Kalring, 2008) يستوعب كل المؤسسات غير الحكومية والجماعات والكتل الاجتماعية والثقافية وكل التفاعلات المعنية بالشأن العام من أندية وحدائق ووسائل نقل، فهو مجال للممارسات الفكرية المبنية على الاستعمال العام للعقل، فهو يتميز بوجود العديد من الفاعلين بداخله وهنا يجدر بنا الإشارة للفاعلين داخل المجال العام.

**ج- الفاعلون داخل المجال العام:**

إن امتداد النطاق المجتمعي وعدم اقتصار القضايا على موضوعات محددة ينعكس على تعدد الفاعلين Actors أو الجمهور الفاعل في المجال العام، ويمكن أن نجملهم في الآتي:

١-**العامة Public:** وهم الجمهور والفاعل الرئيسي وهو يشير إلى جماعة متخيلة يدخلون في نقاشات ومفاوضات حول قضايا ذات اهتمام عام.

٢-**المجتمع المدني Civil Society:** وهو جزء هام وأساسي من المجال العام ويشير لمؤسسات وأنشطة ذات طابع تطوعي وليس لها هدف ربحي على الأغلب، يلاحظ هنا أن كل مجتمع مدني يعد مجال عام ولكن لا ينطوي بالضرورة كل مجال عام على مجتمع مدني منظم.

٣-**الإعلام The Media:** فالإعلام يقوم بدور في تقديم موضوعات للنقاش، ويشكلها كذلك، وإن كان دوره يرتبط بطبيعة ودرجة الديمقراطية والحرية والفرص المتساوية في الظهور في الدول.

٤-**الموظفون العموميون Public Officials:** فرغم أن الدولة ليست جزء من المجال العام ولكن في المجال العام الديمقراطي فإن القائمون على السلطة ينبغي أن يستمعوا ويهتموا برغبات العامة ويتواصلوا مع قضاياهم (World Bank, 2018, P.2)، وبالقطع فإن امتداد الحيز المجتمعي والمكاني وتعدد الفاعلون ارتبط بتعدد الوظائف أو أسباب كون وجود المجال العام ضرورة مجتمعية كبرى.

**د- المجال العام كضرورة:**

إن المجال العام موجود بوجود المجتمع والدولة فالأفراد يخلقون مجالهم العام بعيداً عن الدولة، بل هذا ما حدا بالبعض باعتباره ضرورة لتحقيق الديمقراطية على أساس أنه بدون وجود المجال العام فلا مجال للمواطنين لتنمية ومناقشة الرغبات العامة، والتأثير على القرار السياسي (Anne- Katrine, 2008, P. 10) وعلى هذا يمكن أن نحدد عدد من العناصر على اعتبار أنها أدواراً يقوم بها المجال وتجعل منه ضرورة للاستقرار منها:

- يشكل المجال العام الديمقراطي قوة وجانب نقدي للحكومات الجيدة ( Anne-Katrine, 2008, P. 1) فالحوارات النقدية التي يتضمنها المجال العام تجعل المواطنين ناقدين ومراقبين للدولة، حيث يرى هبرماس أن المجال العام تأسيس لنقد السلطة العامة أو الدولة (Jurgon Habermas, 1991).
- المجال العام يؤدي وظيفة تسهيل التفاوض العقلاني حول الصالح العام بين المواطنين في حياتهم الخاصة حتى تظهر فكرة المصلحة العامة.

وبهذا يصبح المجال العام أداة العبور من الخاص للعام، فمن المفترض أنه يسمح بتدفق حر للمعلومات وحرية التعبير، فالمجال العام (الديمقراطي على وجه الخصوص) حماية للمجتمع من بطش السلطة ومن إساءة استخدام القوة، لهذا فقد يتحول المجال العام أحياناً إلى ساحة للدعاية خاصة من خلال الإعلام، كما يشير هبرماس والدعاية هي آلية من آليات التأثير على الرأي العام المخرج "Output" الأساسي للمجال العام وذلك من خلال التأثير على عقول الأفراد من خلال وسائل الإعلام وتهدف الدولة من تلك الدعاية إلى التحكم السياسي في المجال العام لتحقيق التطابق بين برامج السلطة السياسية ومطالب الشعب ولذلك فالدعاية إذن أداة تستخدمها الدولة لتوجيه عقول الناس وصناعتها والتحكم فيها (رشيد العلوي: ٢٠١٤). وبهذا فرغم أن وجود المجال العام أمر لا مفر منه في المجتمعات الحديثة وضرورة كما أشرنا، فإنه حتى المجتمعات الليبرالية التي تتشدق بالحرية، قد عانت من اختراق الدولة لهذا المجال بدافع حماية الوطن فكما يشير السيديس إلى أنه بعد عام ٢٠٠١ في أمريكا ظهرت بشائر لإعدام المجال العام، حيث حدث خرق لحقوق الإنسان وأعطى الحق لإستراق السمع على المكالمات التليفونية كحجة لمحاربة الإرهاب واستخدم "السيديس" عبارة الفيلسوف الشهير "ماركيوز" عن المجتمع الأمريكي بأنه يقوم على التسامح القمعي (السيد يس: ٢٠٠٨).

وبهذه النقطة نرى أن مفهوم المجال العام لا مجال للحديث عن وجوده وجدواه بل ينحصر الحديث عن درجة الاستجابة الرسمية والخضوع لهذا المجال العام؛ وحدوده المجتمعية ودرجة امتداده أي طبيعة المجال العام وهذه النقطة الأخيرة هي ما دعت البعض لمحاولة الإضافة والنقد للمفهوم التقليدي للمجال العام لجعله أكثر مرونة ورحابة.

**هـ- المجال العام كمجال للنقد والجدل النظري:**

منذ إثارة هبرماس الجدل حول مفهوم المجال العام هناك محاولات عديدة لاستكشاف المفهوم بالنقد والإضافة نظراً لأهميته الجوهرية، وقد بدأ البعض من نقد أفكار هبرماس حول نشأة المجال العام وربطه بالحداثة الغربية فيشير "أرماندو سالفوتوري" إلى أن فكرة المجال العام لها جذور فكرية في التراث السابق على تراث التنوير والحداثة في العصر الحديث، وظهر ذلك من خلال المنحى الجينولوجي الذي اتخذه في دراسته للمجال

العام حيث أشار إلى أن المجال العام لا يمكن أن يأخذ تشكله من تراث واحد حتى وإن كان تراثاً عالمياً، لذا فلابد كما يرى سالفاتوري أن تعاد صياغة فكرة المجال العام بالاعتماد على مصادر تصورية لتراثات خطابية متداخلة وبعضها متصارعة؛ وعلى هذا فإن فكرة المجال العام كما يرى سالفاتوري بها الكثير من المغالاة السوسيولوجية عند تطبيقها خاصة في العامل غير الغربي، خاصة أننا في المجتمعات الحديثة لا يمكننا أن نتجنب قدر من التفكك في مستوى التعقيد وتنوع العقل العام (أرماندو سالفاتوري، ٢٠١٢، ص٤٣٦)، وهذا ما حدا بالبعض مثل "نانسي فرزر" أن ترى أن هناك ضرورة في تجاوز فكرة المجال العام البرجوازي عند هبرماس وأشارت إلى أن هناك حتمية لتجاوز النموذج البرجوازي إلى المجال ما بعد البرجوازي، حيث ترى فرزر أن هبرماس قدم مجالاً عاماً مثالياً تجاهل به العديد من المسائل كالنوع والعرق، وهذا ما يستدعي إعادة النظر في نظرية المجال العام. (رشيد العلوي، ٢٠١٤)

وقد استوعب البعض الفئات المجتمعية المختلفة عند نقده المجال العام البرجوازي بإيجاد مفهوم جديد هو مفهوم "المجال العام المعارض" أو "المجال العام البروليتاري" الذي صاغه أوسكار نيجت Oskar Neget وزميله الكسندر كلوج Alexandre Kluge، وذلك لنقد نظرية هبرماس حول المجال العام البرجوازي حيث أشارا إلى أنه حتى في أوروبا فإن نشأة المجال العام في ق ١٨٠ و ق ١٩٠ كان هناك دور للطبقة العمالية وفئات اجتماعية أخرى كالطلاب والنساء ويروا أن مفهومهم "المجال العام المعارض" يتجاوز مفهوم هبرماس وتصوره للمجال البرجوازي ونموذجه المثالي (رشيد العلوي: ٢٠١٦).

وكانت التغيرات في المجتمعات المعاصرة نقطة البدء عند "دوجلاس كلنر" "Douglas Kellner" للدعوة لإعادة تعريف المجال العام بشكل أكثر امتداداً ورحابة من تعريف هبرماس له كمجال للمعلومات والمفاوضات والصراع السياسي حيث أشار كلنر أنه في المجتمعات المعاصرة ذات التقنية التكنولوجية السريعة، والتي تظهر في أشكال الإعلام المعروفة والمجال السيبراني الديمقراطي "Cyber Space Democracy"، أشار كلنر إلى أنه أصبح هناك ضرورة لتجاوز رؤية هبرماس وضرورة إدخال الثورة التكنولوجية والتحولات البنائية العالمية التي تتخطى تحليلات هبرماس للغة والتواصل (Douglas Kellner, 1992).

وفي النهاية وفي ظل تنامي الاهتمام العالمي بمفهوم المجال العام ومحاولات تطويره المستمرة، ودعوات محاربة الإرهاب والتطرف الفكري بل وكذلك موجات الإلحاد، فإنه يصبح هناك ضرورة ملحة للإهتمام بالمجال العام بإمتداداته المختلفة (الواقعية المباشرة والسيبرانية)، كأساس للتغير بإعتباره السياق الملائم لإحداث تحولات مجتمعية حقيقية بدلاً من البحث في المجتمعات الغربية عن محاولات تحجمية أو مراقبته بل يصبح هناك ضرورة على كل مثقف واعي أن يخترق هذا المجال بشكل متعمد لتفكيك المفاهيم المغلوطة وإعادة تشكيلها وبنائها بشكل موضوعي وعلمي وعقلاني، فلم يصبح اختراق المجال العام من قبل المستنيرين (المباشر والسيبراني) أمراً من قبيل الرفاهية والتفضل بل هو واجب مجتمعي وإنساني قبل كل شيء.

**خامساً: مجالات الاهتمام البحثي بالمجال العام:**

إن التراث البحثي المتعلق بالمجال العام هو تراث زاخر ومتعدد، وخاصة الدراسات الحديثة حيث تتعدد الدراسات التي اهتمت بالمجال العام على المستوى المفاهيمي والنظري وكذلك على المستوى الأمبريقي. ولهذا سوف ننتقي هنا عدداً من الدراسات الحديثة لنعرض أهم ما خلصت إليه ويمكننا أن نحقق منه استفادة أو تدارك عدم تكراره في الدراسة موضع البحث، وعرض هذا التراث سيشمل ثلاث محاور رئيسية هي الداراسات ذات الاهتمام النظري والمفاهيمي بالمجال العام، ثم الدراسات التي اهتمت بدور الميديا والمجال العام الافتراضي، ثم نعرض لبعض الدراسات التي اهتمت بامتداد المجال العام من الغرب إلى الشرق.

**المحور الأول- الاهتمام النظري والمفاهيمي بالمجال العام:**

إن أول ما يتبادر للذهن عند استخدام مفهوم المجال العام هو العالم الألماني هبرماس ولذا فإن العديد من الدراسات التي اهتمت بمفهوم المجال العام في المستوى النظري اهتمت باستعراض أفكار هبرماس فتدرس (Pauline Jahnson) فكر هبرماس حول المجال العام حيث استعرضت الباحثة أفكار هبرماس ومحاولته بناء نظرية في المجال العام، ومفهوم الصالح العام لدى هبرماس والكيفية التي طرح بها طبيعة المناقشات حول القضايا العامة، وربط المجال العام بالمجال الخاص حيث لا سلطة ولا هيمنة، كما استعرضت النقد الذي وجه له من "Cohen and Arato" وغيرهم، حول فشل المفهوم الكلاسيكي للمجال العام البرجوازي.

وكذلك نقاده النسوين مثل "Frazer" و "Landes" وإشارتهم لإشكالية فصل ما هو خاص عن ما هو عام داخل المجال العام البرجوازي، وفي النهاية فقد أكدت الباحثة على أن مفهوم المجال العام الحديث أصبح على درجة عالية من الأهمية؛ مع ضرورة إحداث توازن بين المتطلبات المفاهيمية لفكرة المجال العام والبناء العالمي لتصبح نظرتنا للمجال العام تبدأ من النظرة الضيقة للثقافة والظروف الاجتماعية، وكذلك الاهتمام بالنطاق العالمي. (Pauline Jahn Son: 2001, PP. 215- 236).

وفي إطار الاهتمام بالمجال العام ذات المنوال نجد دراسة أخرى قدمها (Shelton Guaratne) للمجال العام والعقلانية التواصلية ومناقشة المركزية الأوروبية لدى هبرماس، حيث أشار إلى أن النظرية النقدية لهبرماس والتي طورها لإعادة بناء مفاهيم (المجال العام والمجتمع المدني والعقلانية) تعاني من نفس الضعف الذي عانت منه نظرية التحديث البنائية الوظيفية، حيث يرى (Guaratne) أن النظريتان يتفقان في استنادهما إلى التجربة الأوروبية التاريخية فقط وتجاهلهما للتجارب العالمية الأخرى، وسعت هذه الدراسة لتنقيح نظرية هبرماس وإعطاء النظرية أبعاد عالمية ومحلية معاً (Glocalization) وذلك لمنع الهيمنة المركزية الأوروبية والانتقال من النظرية للواقع، حيث يشير الباحث أن النظرية الهبرماسية لا تتطابق بالضرورة المخزون الأنطولوجي والمعرفي والتاريخي للمجتمعات غير الغربية (Shelton A. Gunaratne: 2006, PP. 93- 156).

وبالقطع فإن ما انتهت إليه الدراسة حول إمكانية عدم ملائمة أفكار هبرماس كما هي لا يفترض أن تطابق المخزون المعرفي والتاريخي للمجتمعات غير الغربية، هو أمر تهتم هذه الورقة البحثية به. وقد بالغ البعض في تقديم النقد لمفهوم المجال العام فيشير

(Ari Adut) في دراسة له عن نظرية المجال العام إلى أن مفهوم المجال العام هو رائع من الناحية الأخلاقية ولكنه لا فائدة منه على المستوى التحليلي (Ari Adut: 2013) وهو الأمر الذي يعد مبالغاً فيه حيث أنه ورغم ما وجه للمفهوم من نقد إلا أنه لازال فعالاً على المستوى التحليلي وإن هذا النقد هو للتنقيح ولتحقيق أعلى درجة من الملائمة، وهذا ما حدا ببعض الباحثين أن يحاولوا تجاوز المفهوم بشكله التقليدي ودراسته من جوانب متعددة كما فعل (رشيد العلوي) في دراسته الفضاء العمومي من هبرماس إلى نانسي فريزر، والذي حاول أن يحقق المقاربة بين نظريتين حول المجال العام وهما نظرية هبرماس وأفكار الفيلسوفة الأمريكية المعاصرة نانسي فريزر، التي أكدت على ضرورة إعادة النظر إلى بعض مرتكزات نظرية هبرماس، ورأت أن ما أفرزته العولمة يجعلنا في حاجة إلى مجال عام بعد برجوازي "Post bourgeoise" (رشيد العلوي: ٢٠١٤).

وهذا الاختلاف حول مفهوم المجال العام، والمناقشات العديدة حوله دعا بعض الباحثين مثل (Adrian Feisch) إلى الاهتمام بالمجال العام كمفهوم محوري متنازع عليه، حيث قام بتحليل الاقتباسات في الأبحاث خلال العشرين سنة الأخيرة حول المجال العام، وذلك للوصول على نظرة واسعة وممتدة حول المفهوم وفهم الاختلاف في تناول المفهوم، حيث قام الباحث بتحليل (٥٣٨٦) بحث حول المجال العام في آخر عشرين عام، ثم قام بتصنيف تلك الأبحاث تبعاً للمجتمعات وللزمن، وقد خلص الباحث إلى أنه كما كان متوقع أن المناقشات الدائرة حول أفكار هبرماس وكتبه كانت هي المهيمنة، كما أشار الباحث أن المجال العام الافتراضي أو مجتمع " Online Public Sphere Community" سيصبح في المستقبل هو مركز المناقشات حول المجال العام. وكذلك تعاظم الجدل حول الدين والمجال العام بعد نشر هبرماس كتابه حول "الدين في المجال العام" عام ٢٠٠٦، وبعد انهيار برج التجارة العالمي في ٢٠٠١، وهكذا فقد ظهر أن الاهتمام المستقبلي بالمجال العام يركز على المجال العابر للقوميات على الإنترنت، وبهذا يشير الباحث أنه يصبح لدينا تحدي إمبريقي في اختبار الافتراضات النظرية لمفهوم المجال العام، وضرورة اهتمام المنظرين بتقليص درجة التجريد والغموض (Adrian Rauch Feisch: 2017, PP 3- 18)، وهذا ما سنحاول الانتباه له في هذه الورقة البحثية.

ومن خلال عرض الدراسة الأخيرة التي اهتمت بتحليل دوائر اهتمام الأبحاث حول المجال العام خلال العشرين عام الأخيرة والتي أبرزت أن الاهتمام المتعاظم بالمجال العام كان حول المجال العام الافتراضي والانترنت والميديا لهذا سنشير في المحور التالي لنماذج من الدراسات التي اهتمت بهذا المجال العام الافتراضي.

**المحور الثاني– الميديا والمجال العام الافتراضي:**

إن الاهتمام البحثي بالمجال العام مؤخراً يكاد ينحصر في الاهتمام بوسائل الاتصال الحديثة أو الإعلام والانترنت وتأثيره على المجال العام الافتراضي، وتعرض هذه الورقة البحثية لنماذج من هذه الدراسات التي أكدت على دور المجال العام الافتراضي في التأثير المجتمعي مثل (Downey and Fenton) اللذان أشارا في ورقتهما البحثية عن الإعلام الجديد والدعاية المضادة والمجال العام إلى أن وسائل الإعلام الجديدة قد تستخدم كأداة لإحداث دعاية مضادة أو مجال عام مضاد وذلك من خلال الجماعات الراديكالية لصالح مشروعهم السياسي، وقد أكد الباحثان على أن وسائل الاتصال الحديثة لا تتحمل المسئولية وحدها على خلق المجال العام المضاد وإن هناك عوامل أخرى (John Downey and Natalie Fenton, 2003, PP 185- 202).

وإن كانت الدراسة السابقة اهتمت بالأشكال المستحدثة من الميديا والمتعلقة بالواقع الافتراضي فإن دراسات أخرى أثبتت إلى أن وسائل الميديا التقليدية لا زالت تلعب دوراً في المجال العام، وأشارت لذلك (Brita Arne) في بحثها عن المجلات النسائية والمجال العام في المجتمع النرويجي ومن خلال إجراء عدد من المقابلات مع القراء والمحررين وتحليل مقالات المنشورة بعدد من المجلات النسائية، خلصت الباحثة إلى أنه لا زالت المجلات النسائية مصدر للمعلومات السياسية ومشاركة الخبرات ولا زال لها تأثير في تحقيق المواطنة الثقافية أي لا زالت تلعب دوراً داخل المجال العام الأوروبي (Brita Ytre Arne: 2013, PP 247- 261).

وعلى غرار الدراسات التي أظهرت أن المجلات والميديا تلعب دوراً مؤثراً وواضحاً في المجال العام أكدت دراسة أخرى في المجتمع الأوروبي قام بها ( John Downey) لدراسة الإنسيابية والمجال العام، حيث أظهر أن أغلب الباحثين يهتمون بدراسة المجال العام في حالة ثباته في حين أنه في العصر الحديث ينبغي لنا الاهتمام بدراسة المجال العام في حالة انسيابيته وحركته، حيث أصبح يمكن للأفكار والصور أن تهاجر عبر الحدود لذا فمن الضرورة الاهتمام بدراسة حراك الصور والأفكار والوضع في الاعتبار الإنسيابية التي تسمح للتفاعل الاجتماعي أن يحدث بالمجال العام ( John Downey: 2014). وإن كانت الدراسات السابقة ركزت على الميديا والمجال العام وما قد تخلقه من مجال عام افتراضي أو مضاد وإضفاء الإنسيابية والحركة على المجال العام في المجتمعات الأوروبية فإن دراسات المجال العام والميديا الحديثة في الوطن العربي أضافت أبعاداً أكثر خصوصية للإهتمام بالمجال العام.

فتظهر دراسة (يحيى اليحياوي) للشبكات الاجتماعية والمجال العام بالمغرب: مظاهر التحكم والدمقرطة، دور شبكات التواصل الاجتماعي في المجال العام بالمغرب وأثرها على حركيته، وقد قام الباحث بتتبع تموجات الحركة داخل المجال العام، وكذلك حلل استطلاعات الرأي العام الميدانية المتوفرة، وخلص الباحث إلى نتيجة بالغة الأهمية وهي أن الشبكات الاجتماعية نقلت جزءاً من الصراع مع السلطة إلى الفضاء الافتراضي موسعة بذلك "نطاق المجال العام التقليدي" والمتعارف عليه بأطروحة هبرماس؛ وهي بذلك كما يشير الباحث لم تخلق مجالاً افتراضياً جديداً، كما يذهب البعض، بقدر ما عمدت إلى شد عضد المجال العام القائم، لذا يؤكد الباحث أن المجال العام الافتراضي ليس فقط موازياً للمجال العام بقدر ما هو امتداد وتوسيع لفضاء تفاعله (يحيى اليحياوي: ٢٠١٥). وهذه الدراسة رغم أنها بعيدة عن الاهتمام الرئيسي لهذه الورقة البحثية إلا انها خلصت لنتيجة شديدة الأهمية أن المجال العام الافتراضي قد لا يكون مجال عام مضاد فقط بل يلعب أحياناً دوراً داعماً ومكملاً ولتوسيع المجال العام ويعمل كإمتداد له في الصراع مع السلطة في المجتمع العربي، ويدعم تلك الفكرة دراسة أخرى في المجتمع السعودي عن هاشتاج إنهاء وصاية الرجال وحقوق المرأة ووسائل التواصل والمجال العام العربي، حيث اختيرت هذه الورقة البحثية التواصل التفاعلي الدينامي بين الرجال والنساء على تويتر، وقامت الباحثتان بتحليل التدوينات على تويتر المتعلقة بإنهاء وصاية الرجال خلال ١٧ شهر، وقد خلصتا إلى أن المجال العام الافتراضي في تويتر أعطى مساحة تفاعلية ساعدت النساء على تجاوز القيود الموجودة داخل المناقشات العامة التقليدية والمجال العام في المجتمع السعودي، حيث أتاح مساحة آمنة للنساء للنقاش حول وصاية الرجال عليهم (Einar Thorsen, Chindu Sreddharan, 2019, PP.1121- 1140).

وهذه الدراسات حول المجال العام رغم اختلافها عن محور اهتمام الورقة البحثية موضع البحث لإنها تدرس المجال العام الافتراضي وليس الواقع الفعلي للمجال العام، إلا أنها أماطت اللثام على عدة نقاط شديدة الأهمية منها حركة المجال العام المتسارعة والإنسيابية نتاج للتطور التكنولوجي، وكذلك دور الميديا الموجه والمؤثر على المجال العام، كما أظهرت الأوراق البحثية الخاصة بالمجال العام الافتراضي في الوطن العربي على وجود سمات خاصة له مثل فكرة الصراع مع السلطة أحياناً، أو مواجهة التقاليد والثقافة السائدة من خلال هذا المجال الافتراضي وهي الأمور التي يمكن أن تضيف أفكاراً وتساؤلات جديدة لهذه الورقة البحثية.

**المحور الثالث– المجال العام والامتداد من الغرب إلى الشرق:**

اعتمد الاهتمام البحثي هنا على امتداد المجال العام وتوغله، وقد توسع البعض في امتداد مفهوم المجال العام خاصة غرباً في أوروبا ليشمل مساحة عامة واسعة كما أظهرت دراسة (Erik Eriksen) حول بزوغ المجال العام الأوروبي، حيث اهتم الباحث بالمساحة التواصلية التي تعمل كمجال عام في ظل وجود هويات متعددة في ظل أن الاتحاد الأوروبي ليس دولة واحدة، وقد خلص الباحث إلى أن التعاون الأوروبي خلق مساحة عامة Public Space، ولكنه لم ينجح في خلق مجالاً عاماً واحداً رغم الحدود المفتوحة والمتاحة للمواطنين ورغم جهود خطابات مؤسسية قانونية تحاول تشكيل إرادة جماعية من خلال الاتفاقات الدولية ( Erik Oddvar Eriksen: 2005, PP. 334-363).

والورقة البحثية السابقة وسعت من امتداد المجال العام ليشمل الاتحاد الأوروبي كافة الأمر الذي خلص الباحث إلى صعوبة تحققه على أرض الواقع في ظل تعدد الهويات، وهو ما استدعى بعض الدراسات للاهتمام بهذا التعدد ليس على مستوى الأمم والدول بل داخل الدول ففي دراسة أخرى في المجتمع الغربي حول الدين والحقوق والمجال العام أجراها (Volker Kaul) أشار إلى أن الحقوق خاصة الديمقراطية هي أساس قيام المجال العام الديمقراطي، ولكن الأمر الجدير بالذكر هو ما وصل إليه الباحث عند دراسته للمجال العام في أوروبا وعلاقته بالدين بأن ما يثار حول إشكالية الدين الإسلامي وتحديه للمجال العام الديمقراطي هو أمر غير صحيح فقد خلصت الورقة البحثية إلى أن الإسلام لا يمثل أي تحدي خاص أكثر من الديانات الأخرى للمجال العام (Volker Kaul: 2017). وهو الأمر الذي يزيد من أهمية الدراسات الواقعية للمجال العام بأشكاله المختلفة للتخلص من التصورات النمطية الخاطئة الشائعة حوله؛ ويضفي أهمية على الموضوع البحثي الذي تهتم به هذه الورقة البحثية.

وحول الدراسات التي اهتمت بالمجال العام الغربي، فإن بعض الدراسات تناولت المجال العام في سياق ثقافي مختلف فنجد أن (Erik Persson) و (Luis Neto) اهتما بدراسة المناقشات والأيدولوجيا في المجال العام في البرازيل، أي في نطاق أمريكا الجنوبية حيث قاما بتحليل نقدي للمناقشات العامة داخل الجامعة البرازيلية العامة منذ عام ٢٠١٣؛ أي أنهما اهتما بالمجال العام في نطاق ضيق وقد خلص الباحثان إلى أنه رغم أن الفاعلين الاجتماعيين شكلا مجالاً عاماً للمشاركة في القرارات الخاصة بجامعة (UFSC) بالبرازيل، وكذلك بمستشفى الجامعة، إلا أن هذا المجال العام لم يظهر كمنطقة مثالية للتفاعل التواصلي الذي أشار له هبرماس، حيث ظهر المجال العام الواقعي في نطاق العلاقات غير المتماثلة للقوة وكأنه له طبيعة أيديولوجية، منحت فيها الجماعات المهيمنة قوة صناعة القرار، بينما الجماعات الاجتماعية الأخرى كانت خاضعة ومحرومة من

صناعة القرار، وظهر ذلك من خلال تحليل الخطابات المهيمنة التي تركز على خاصية التشاور العام، وإن كان الواقع جعل التصويت أجوف ومقياس غير ناجح ( Erik Persson, Luis Moretto Neto: 2018, PP 278- 306).

وبالقطع هذه الورقة لفتت النظر لنتيجة شديدة الأهمية، على الدراسة الحالية أن تضعها في اهتمامها وهي أنه يمكن في بعض السياقات الثقافية أن يكون المجال العام هو مجال موجه أو مهيمن عليه وخاضع وهو أمر ينبغي أن نضعه في اعتبار الدراسة الحالية، خاصة أنها أجريت في نطاق ضيق وإن كان هناك اختلافاً جذرياً أن هذه الدراسة اهتمت بمجتمع محدد المعالم وهو مجتمع الجامعة، وكذلك بمجال يمكن أن يؤثر ويتأثر بصناعة القرار وتكوين رأي عام واحد ملموس وليس كمجتمع الدراسة الحالية المتشعب الغير مؤثر على عمليات صناعة القرار كما سنحاول أن نستكشف.

وبدراسة مجتمعات محددة ومجال عام محدد آخر وبالانتقال بامتداد البحث الميداني إلى سياق ثقافي في الشرق الآسيوي ظهرت الهويات الدينية المتعددة كمفهوم محوري في بعض الدراسات كما أشار (Md Mizanur Rahman) في دراسته لتشكل المجال العام الإسلامي في بنجلاديش وصناعة هذا المجال العام الديني تطلبت من الباحث التعرف على الفاعلين النشطين في هذا النطاق والأنشطة التي يمارسونها كالنشاط الدعوي والأنشطة المدرسية وكذلك بعض المشاريع الإسلامية وممارسة أنشطة متعلقة بأحزاب إسلامية، وقد أكدت الدراسة على أنه رغم أن هناك اختلافاً أيديولوجياً واضحاً بين الحركة الإسلامية والمجتمع، إلا أن تلك الحركة أظهرت نشاطاً واضحاً في تشكيل مجال عام إسلامي داخل المجتمع البنجلايشي (Md Mizanur Rahman: November 21, 2018).

ومن هذه الدراسات التي تناولت مجتمعات ذات ثقافات مختلفة ننتقل إلى دراسات اهتمت بالمجال العام في المجتمع العربي الشرقي فنجد دراسة لـ (دريس نوري) عن استعمال المجال العام في المدينة الجزائرية، وهي دراسة ميدانية على حديقة التسلية في مدينة سطيف وساحة وس عمروش في مدينة بجاية، وقد خلص الباحث إلى أن المجال العام يمكن أن يتحول إلى رهان سياسي لمختلف الفاعلين المتصارعين على السلطة، وإلى رهان اقتصادي للفئات الفقيرة من المجتمع، من خلال استعماله كمكان لكسب القوت اليومي من أجل الاستمرار، وقد خلص الباحث من خلال الملاحظة بالمشاركة والملاحظة والمقابلات، إلى أن الاستعمال الاجتماعي للمجال العام متعدد ومعقد وأنه يتغير من مرحلة تاريخية إلى أخرى، ومن طبقة اجتماعية إلى أخرى، كما أكد الباحث إلى أنه إذا كان المجال العام في الغرب ساهم في التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي؛ وساهم في تشكيل رقابة على السلطة وكونه سلطة مضادة ومجال للحرية والديمقراطية، إلا أنه لم يتشكل بعد بهذا الشكل في المدينة الجزائرية خاصة أو في المجتمعات العربية بصفة عامة (دريس نوري: ٢٠٠٧). وقد أكد ذلك النتيجة ما توصلت إليه دراسة أخرى لـ (محمد عولا علي) حول التحولات البنائية للمجال العام في مجتمع ما بعد الحداثة وتحليل خطاب الأحزاب السياسية في إقليم كردستان من سنة ٢٠٠٥ إلى ٢٠١٣، حيث خلص الباحث من خلال تحليله لخطاب الأحزاب إلا أن هناك معوقات تعوق التحول البنائي للمجال العام وتعوق تطوره مثل احتكار النسق الاقتصادي والإعلام الحزبي والوعي السياسي (محمد عولا علي: ٢٠١٦)، وهذه النتيجة تتفق مع الدراسة السابقة حول تشكيل المجال العام العربي بشكل مختلف عن الشكل الغربي الذي أشار له هبرماس، وهذا ما أكدته دراسة

(Lucy M Abbott) عن المجال العام المفاهيمي ومشكلاته دراسة الفعل السياسي لدى هبرماس والمجتمعات العربية، حيث خلصت الدراسة أنه لمحاولة فهم التحولات في المجال العام والتغير في الدول العربية في الشرق الأوسط، يظهر أن هناك صعوبة جمة لتطبيق أفكار هبرماس عن التحول والتغيرات في المجال العام على الدول العربية في الشرق الأوسط (Lucy M Abbott: June 7, 2016, PP365- 379). ورغم أن الكثير من الدراسات السابقة انحازت للمجال العام بمعناه الغربي إلا أنه ورغم وجود مشكلات في فهم المجال العام بالمعنى الغربي، إلا أن ذلك لا يلغي وجود مجال عام مؤثر وفعال أحياناً وذلك ما أكدته دراسة (Marwan Kraidy, Marina Kriko rian) حول المجال العام الثوري دراسة لحالة التواصل العربي الثوري، وقد خلص الباحثان لمفهوم المجال العام الثوري "The Revolutinary Public Sphere" من خلال اهتمامهم بالأشكال المبتكرة وأساليب التواصل والتجارب الجمالية والشعر والمعارضة في أثناء الانتفاضة العربية. حيث رأى الباحثان أن المجال العام الثوري قد تجاوز المحاورات والمفاوضات في المجتمعات العربية، وظهرت الجماهير الثورية في منطقة وسط بين من أشارت لهم (Frazer) بالجماهير القوية أو العامة الضعفاء، فظهرت الجماهير الثورية التي أشار لها متجاوزة الخطابة والمناقشات للتعبير عن الطموح وتجاوز النظم الأوتوقراطية. فظهرت الجماعة الثورية كجماعة حدية عالقة في الحاضر بين ماضي مرفوض ومستقبل مرغوب. (Marwan Kraidy, Marina Kriko rian: 2017).

وأخيراً بعد عرض نماذج من هذا التراث الزاخر حول المجال العام، ومجالاته البحثية نجد أن بعض الدراسات اهتمت بالأفكار النظرية حول المجال العام خاصة أفكار هبرماس والجدل الفكري النظري حولها ولم تهتم بالتواجد الفعلي أو تطبيق هذه الأفكار في الواقع وهو أمر مفيد لهذه الورقة البحثية من الناحية النظرية، إلا أن البحث الحالي يحاول أن يتجاوز التحليل النظري المنفرد، كذلك أظهر البحث تزايد الاهتمام بالمجال العام الافتراضي مقابل انحسار البحث حول المجال العام الواقعي بتجسيداته المختلفة، وهو الأمر الذي جعل هناك ضرورة ملحة للاهتمام بالتواجد الفعلي لوجود مجال عام أو بعض سمات من المجال العام في مجتمعنا العربي.

إن الدراسات التي اهتمت بالمجال العام الواقعي والتي ركزت أغلبها على المجال العام الأوروبي الممتد غرباً بسماته المختلفة، والدراسات العربية اهتمت بالمجال العام في مرحلة التغير الاجتماعي والانتفاضات العربية الثورية، ولذا الأمر الذي علينا أن ننتبه إليه الآن هو الدور الذي يلعبه المجال العام (إن وجد) في المجتمع، وسوف تركز هذه الدراسة على المكان الثالث والأمكان الشبابية بإعتبارها قد تكون نموذجاً يضفي الحياة على المجال العام المصري، ونركز أيضاً على فئة الشباب التي لم تتناولها أي من الدراسات السابقة بالاهتمام والتي هي محور اهتمام هذه الورقة البحثية.

**سادساً:- الأماكن الشبابية (المقاهي الحديثة والكافيهات) ما بين المجال العام Public Sphere والمكان الثالث Third Place:**

ننتقل هنا إلى الواقع الفعلي فإن كان مفهوم المجال العام هو مفهوم غير ملموس على أرض الواقع، إلا أننا نحاول أن نبحث عن تجسيدات أو ملامح من الواقع تعكس بعض ملامحه، وإن لم نكن نتبنى الشكل المثالي الذي أشار له هبرماس وأشكال الخطاب العقلاني الحر بأشكاله المثالية، التي لا نتوقع أن يظهرها البحث الميداني لنا في الواقع العربي من كون المجال العام مكاناً للاجتماع الديمقراطي الحر، والمساواة فهذه الأفكار قد تصبح يوتوبيا من المنظور الواقعي العربي ونهتم بالمجال العام الذي يسمح بحرية الدخول

إليه وبه أنشطة متعددة، والذي يمكن استعماله من طرف عامة الناس لتحقيق منفعة عامة أو منافع متعددة، أو كما يشير البعض إلى إمكانية قيامه بأدوارً مختلفة (تجارية وثقافية وحركية) والتي تختلف من موسم لآخر ويمكن أن يتحول هذا المجال لمكان للاحتفال (مثال المقاهي في الأحداث الرياضية)؛ كما يمكن أن يسمح خلاله بظهور شبكات من العلاقات الاجتماعية والتعارف بين الأفراد، وكذلك خلق حوار ونقاش وتبادل أحاديث (دريس نوري، ٢٠٠٧، ص ٦٢). ولهذا فقد اختارت هذه الورقة البحثية الأماكن الشبابية (كالمقاهي والكافيهات) لنتعرف على دورها كجزء من مجال عام غير مثالي بمفهوم هبرماس، حيث أن تلك الأماكن هي مادة غنية بالشخصيات والأحداث، كما تنوعت في أشكالها وأنواعها وأدوارها خاصة أن كثير من الأبحاث قد تجاهل تأثير المكان أو تم التعامل معه كعامل غير مؤثر أو اعتيادي على الرغم من أن دراسة المكان تعطي فهماً أكثر عمقاً ونظرة مختلفة فدائماً الاجتماعي هو مكاني والعكس صحيح ( The Social is spatial)، ولهذا وكما يؤكد علم الاجتماع المكاني على أهمية دراسة علاقة الاجتماعي بالمكان، حيث أن الظاهرة الاجتماعية تحدث في مكان ما (Martin Gfuller and Martine low: 2017, P. 470).

ونحن حينما نتحدث عن الأماكن الشبابية كجزء من الفضاء الاجتماعي فنحن لا نقصد بالقطع المكان بالشكل المجازي الذي ليس له تجسيدات واقعية بل نقصد أماكن بعينها وهي المكان الثالث الذي يتجمع به الشباب خارج نطاق العمل أو الدراسة أو المنزل بل نقصد المكان بإعتباره مادي وواقعي ومعاش وحيوي، فنهتم بأماكن لها بناء علائقي وله أبعاد متعددة (Martin Gfuller and Martin low: 2017, P. 477).

وهذا ما حدا بالعديد من الباحثين للاهتمام بدراسة بعض الأماكن والمقاهي والصالونات الأدبية، ومن أبرز من اهتم بالمقهى في الغرب هبرماس في ١٩٨٩ كما أوضحنا عندما تحدث عن المقاهي الأوروبية في ق. ١٨ كمجال للمناقشات السياسية والاستخدام العام بإعتبارها معقل الذكور البرجوازيين، وقد اهتم بالمكان من منظور حداثي أيضاً "Olden Burg" ١٩٨٩ حيث أشار لمفهوم "Third Place" أو مكان ثالث، كمقابل للمكان الأول وهو المنزل والمكان الثاني وهو العمل، وكتاب "Olden Burg" عن المكان الثالث، هو بداية لأبحاث أكثر لما يسمى مجتمع المقهى "Café Society" بما يتضمنه من جاذبية، وكيف يمكن للمقهى أن يصبح تنظيم اجتماعي يوماً بعد يوم، وأفعال مرتادية، وبماذا يمكن أن يعدنا مجتمع القهوة للمستقبل في ظل أن المجال العام الذي تفتح به المقاهي قد أضعف دوره، ونتسائل هنا كما تسائل "Aksel T Jara" هل الكافيهات الشبابية بأنواعها اليوم تعد امتداداً لنفس السلالة الأوروبية أو أنها تتشارك ذات الـ (DNA) للمقاهي الأوروبية القديمة، وهل يمكن أن تصبح مكون عضوي لتنظيمات سوسيو ثقافية (Aksel T Jora and Graham Scamlder (Editors): 2013, Introduction).

حيث أن دراسة المكان الثالث تشمل كل من العالم الشيق والعالم الواسع، فهي محور اهتمام الاجتماعيين والتاريخيين والاقتصاديين بل والجغرافيين، وقد تزايد الاهتمام بها مع تزايد إعداده بسبب تزايد الأبعاد التجارية في المجتمعات المعاصرة، وقد أصبحت الأماكن الشبابية كمكان ثالث أماكن لشبكات متعددة تتنوع الروابط الاجتماعية بها ما بين روابط ضعيفة وهشة وروابط قوية ومتينة تعكس الألفة والصداقة، وقد اعتبر البعض أنها

أداة لتمكين المجتمع المدني، وقد اهتم عدد من الباحثين في الغرب والشرق بالكافيهات على وجه الخصوص أشار (Bodil Stenseth) للمقهى كقلب التحضر بإعتبارها جزء من التاريخ الثقافي، وكذلك أشار لها (Paul Manning) بإعتبارها عنصر من عناصر البنية التحتية لتحقيق الاندماج الاجتماعي في المحيط الأوروبي، كذلك أكد " Graham Scambler" على أن المقهى كمكان ثالث هو قطاع تمكين للمجتمع المدني، أما ( Tomas Moe, Ida Henriksen) فقد اعتبرا أن الكافيهات تشكل مجتمعاً خاصاً علينا الاهتمام به .(Aksel T Jora and Graham Scamlder (Editors): 2013, Introduction)

وفي سياق اجتماعي مختلف اهتمت بعض الدراسات العربية بالكافيهات وإن كان أغلبها اهتم بمقاهي الانترنت بإعتبارها مستحدثة، ولكن آخرين اهتموا بالمقاهي خاصة الترفيهية منها. فنجد (فريال الهاجري) تشير إلى الأبعاد الديموجرافية والاجتماعية والاقتصادية للمقاهي الترفيهية في دراستها للمترددات على مقاهي مدينة الخبر السعودية، وبتطبيق استمارة استبيان على عدد كبير منهن خلصت إلى أن التردد على المقاهي بالنسبة للسيدات كان له أسباب نفسية واجتماعية، وأن المترددات عليها كن ذوات تعليم عالي وصغيرات السن من شريحة متوسطة أو أعلى من المتوسط (فريال بنت محمد الهاجري: ٢٠٠٣)، كما اهتمت دراسة أخرى بالتغير الاجتماعي ودور المقهى في مصر، وحاولت رصد أسباب انتشار المقاهي ودوافع الشباب على التردد عليها ففي الدراسة استخدمت الباحثة مسح اجتماعي لعدد من المناطق منها ما هو شعبي أو متوسط أو راقي، وخلصت إلى أن انتشار المقاهي في مصر من أسبابه البطالة خاصة بين المؤهلين علمياً وقلة الاهتمام بمراكز الشباب لجذب الشباب. (جيلان عبد الحي الزيني: ٢٠٠٤)

واقترب آخرون من مجال اهتمام هذه الورقة البحثية في الاهتمام بالمقاهي كجزء من المجال العام حيث ركز الباحث (إسلام بدران) على المقاهي كحقل اجتماعي في مدينة رام الله فاستخدم الباحث منهج اثنوجرافي والملاحظة والتحليل لبعض البيانات وكذلك بعض المقابلات، وخلص إلى أنه لكل مقهى نمط موروث ومعاصر، وأن المكان أو المقهى يحقق للرواد إشباعات وخصوصية حيث قد يمثل المقهى فضاء عام يتيح لبعض الأشخاص نوعاً من الحرية الفردية واحترام الخصوصية، كما أشار الباحث إلى أنه أحياناً يكون المقهى مكاناً أو أداة للتمرد على العرف الجمعي (إسلام بدران: ٢٠١٧)، وما خلصت له هذه الدراسة هي نقاط جديرة بالاهتمام عن كون المقهى حقل اجتماعي ومكان ثالث وذو شأن في المجال العام ، ولكن التركيز على الكافيهات المعاصرة لا يتطلب بالقطع إعادة إنتاج التحيز الطبقي للبرجوازية داخل المجال العام والذي أشار له هبرماس، حيث أظهرت نتائج الدراسات تحولات في المجتمعات المعاصرة في شكل المجال العام منها:

١-إمكانية التأثير غير البرجوازي على المجال العام.

٢-تراجع فكرة الوعي الجمعي والرأي الجمعي التي تؤدي إلى فعل جماعي مؤثر لإحداث تغير سياسي.

٣-ظهور ثقافة التحدي "Culture of Challenge" والتي تعد أكثر السبل التي يمكن بها مقاومة الوضع الراهن.

٤-لا يشترط للنشاط الاجتماعي أن يكون انعكاس لنشاط له أسس طبقية.

٥-تعتبر المقاهي قطاع للتمكين للطبقة الوسطى والعاملة ويمكن أن تعمل في القطاع المعارض والاحتجاجي (Aksel T Jora and Graham Scamlder (Editors): 2013, Introduction).

وتسعى الدراسة في هذه الورقة البحثية إلى تخطي المفهوم الهبرماسي حول المجال العام التقليدي خاصة حول دور الأماكن الشبابية بأنواعها والاهتمام بالأماكن الشبابية كجزء حيوي من المجال العام غير التقليدي وبإعتباره مكان ثالث ( Third Place) كما أشار أولدنبرغ (Ray Olden Burg) له سمات محددة:

١-المحايدة أو الحيادية Neutral Ground أي وجود أماكن تستطيع الأفراد أن يأتوا إليها ويذهبوا دون وسيط.

٢-الأحاديث هي النشاط الطاغي Conversation is the main Activates.

٣-سهولة الوصول والتكيف.

٤-تضم هذه الأماكن أفراد ملتزمين في المكان أو بمعنى آخر (Loyal Customers)

٥-كل مكان له طابعه وهويته.

٦-كثيراً ما تميل الأحاديث في الأماكن العامة للمزاح والمرح.

٧-المكان الثالث كما لو كان بيتاً بعيد عن البيت. ( A home away from home)

ويعتبر المكان الثالث مكاناً لتعزيز النقاش السياسي أحياناً، كما أنه يوفر مكان للتسلية وتكوين الصداقات، كما قد يكون منتديات فكرية "Intellectual forume" أو معبر للدخول للحشد؛ وبمعنى آخر يعتبر المكان الثالث مكان يساهم في إضفاء الحياة على المجال العام (إسلام بدران: ٢٠١٧، ص ص ١٦- ٢٠).

وهذه هي النقطة التي تمثل محور اهتمام هذه الورقة البحثية حيث نحاول أن نتعرف على الأماكن الشبابية بين المجال العام والمكان الثالث، وربما يظهر البحث هذا المكان الثالث كمكاناً ثقافياً ذو طابع اجتماعي، ويظهر ثقافة المجتمع بحيث يعيد إنتاج الثقافة داخل المكان عبر أشكال مختلفة من الأفعال الاجتماعية لأفراد وجماعات (أحمد زايد: ٢٠١٠، ص٧٥). وهنا لا نشير لثقافة المجتمع ككل بل نشير لثقافة خاصة بالشباب ربما تنتج ويتم إحيائها داخل تلك التجمعات والأماكن الشبابية المتنوعة المجالات والاهتمامات؛ ولهذا فإننا نسعى هنا في البحث الميداني للإهتمام بالمكان والفاعلين وهم الشباب حيث أنهم فئة اجتماعية متميزة ومختلفة لها وسط معيشي فكري مختلف (هابيتوس Habitus) وذلك للوجود في موقع متميز بين الطفولة والنضوج، حيث هناك استقلال نسبي وليس كلي وكذلك هناك تحرر من المسئولية عن الآخرين، (أصف أبيات، ٢٠١٤: ص٢٤٢) ولهذا نهتم بفئة الشباب، وصور تواصلهم داخل الفضاء العام أو المجال العام والمتجسد في تجمعاتهم الشبابية في المقاهي الحديثة والكافيهات المعولمة بأشكالها المختلفة والتي تجذب شباب الطبقة الوسطى الحضرية، وما قد يظهر من مظاهر ثقافة شبابية مميزة مرتبطة بتلك الأماكن تم التعبير عنها من خلال الظهور في هذه الأماكن أو هذا الفضاء العام بشكل غير مباشر، لهذا تهتم هذه الورقة بعلاقة المكان الثالث بالشباب بوصفهم فاعلين في الفضاء العام، وأنماط الأنشطة والأماكن وأشكال الحركة أو اللاحركة أو أشكال الحضور الجمعي التي أشار لها (أصف أبيات) خاصة في الفضاءات التي لا تملكها الدولة، والتي لا تشكل للشباب أي سلطة سياسية أو أخلاقية (أصف أبيات: ٢٠١٤، ص٢٧١).

وننتقل في الجزء التالي لاستكشاف الواقع الإمبريقي في عدد من العناصر:

**أ- الأجواء في الأماكن الشبابية:**

**١- مؤشرات الموقع:**

استهدفت الورقة البحثية الأماكن الشبابية للشرائح الوسطى والعليا في وسط مدينة القاهرة خاصة مناطق الدقي والمهندسين والزمالك ووسط البلد، وإن كانت بعض الأماكن ذات المستوى الأعلى كانت في مناطق على أطراف المدينة (التجمع- زايد).

**٢- مؤشرات الشكل:**

تنوعت الأماكن الشبابية من حيث الشكل، فبعض الأماكن اتسم بالشكل الأوروبي الغربي والخدمات السريعة الذاتية وظهرت هذه الورقة هذه أكثر في المقاهي المعولمة ذات الارتباط الثقافي الأوروبي (سيلنترو- كوستا- ستاربكس- ... إلخ)، وأماكن أخرى اعتمدت على النمط البسيط في الذوق وتقديم شيشة وألعاب ترفيه للشباب (فيني- انتخ- لاتينو- أرجبلا- ... إلخ)، وأماكن أخرى اعتمدت على الشكل الكلاسيكي المودرن والموسيقى في المكان ودمج الكلاسيكي بالأوروبي الحداثي (عيش وملح ... إلخ)، أما المقاهي الثقافية التي لم تعد تجذب الشباب كما أظهر البحث فظهرت بشكل عتيق معتمدة على الماضي والصور التي تملأ المكان لأشخاص مورموقين تاريخياً، بدون اهتمام بتطوير الحيز المكاني الفعلي (مقهى ريش ... إلخ).

أما المساحة فقد تنوعت المساحات فبعضها أماكن مفتوحة ومساحات كبيرة وأخرى ضيقة وصغيرة ولم تظهر المساحة كعامل طرد أو جذب للشباب. وعن ساعات العمل فإن أكثر الكافيهات الشبابية كانت تعمل لساعات متأخرة ليلاً فأغلبها لا يغلق أبوابه قبل الثانية عشر مساءً، وبعضها يستمر حتى ساعات الفجر الأولى.

**ب- الشباب ومعايير اختيار المكان الثالث:**

إن المكان الأفضل والأنسب للشباب اعتمد على عدد من المعايير مثل:

١-**المسافة:** حيث أكد الشباب خلال المقابلات أن البعد أو القرب من المنزل أو العمل عامل مؤثر جداً على تكرار الذهاب إلى المكان.

٢-**جماعة الرفاق:** حيث أن المكان يرتبط بالجماعات الشبابية ذاتها ففي حال تجمع ذكور فقط فقد أشار الشباب أنه قد يكون الاختيار هو القهوة البلدي أو الكافيه البسيط وقد أشار أحد الشباب لذلك "لما نخرج ولاد بس نروح أي مكان قهوة بلدي، في الشارع أو كافيه لكن لما يبقى معانا بنات لازم نروح مكان كويس"، ونفس الفكرة أشارت لها إحدى الشابات "أنا لما أخرج مع زوجي أحب مكان هادئ وشيك، لكن أنا والبنات أصحابي نروح أي مكان قريب".

٣-**الحالة المادية:** أكد الشباب أن الوضع المادي والاقتصادي أصبح مؤثر وواضح في اختيار المكان، وأكد ذلك أحد الشباب بقوله "أول الشهر نروح أماكن حلوة وشيك وناكل أما لما الدنيا تقفل آخر الشهر، فنروح أي مكان"، وعن الحالة المادية فارتبطت أيضاً بالأشخاص فيشير أحد الشباب لذلك بقوله "أنا لو مع زوجتي لازم أروح مكان شيك وسعره عالي، أما مع أصحابي فبنحاول نروح مكان سعره معقول".

٤-**مستوى الخدمة:** وقد ركز على ذلك المعيار الفتيات مقابل تركيز أكبر من الشباب على الأسعار، فتشير إحدى الشابات لذلك بقولها "اهتم أن المكان يكون مستوى النضافة عالي والمعاملة كويسة".

٥-**المكانة الاعتبارية:** حيث أكد الشباب على أن أكثر الأماكن تفضيلاً "Great Good Third Place" التي تكلم عنها (Ray Olden Burg) هي كما يشير أحد الشباب

"أماكن تعرفنا بالأسم ولنا معاملة خاصة بها"، وهذه المعاملة التي يحصل عليها الشباب واعتبارهم "Loyal Customers" أو "Regular" الزبون الدائم أو المنتظم ذلك الذي يجعل المكان الثالث بالنسبة له (A Home Away from Home) منزل خارج المنزل وهو ما أكد عليه الشباب خلال المقابلات، فالمعاملة تكون مختلفة للشباب المنتظم عن الزبون العابر "The take away customers"، حيث ينعكس ذلك على اختيار طاولات مميزة، أو في عدم الإلحاح عليهم لطلب مأكولات أو مشروبات كما أشار الشباب، وتظهر بصورة أكبر خلال الأحداث الرياضية وحجز أماكن لمشاهدة المباريات الكروية، بل وصل الحال لأن أصبح هناك علاقة اجتماعية مع أصحاب المكان كما أشار أحد الشباب "أنا عزمت صاحب الكافيه في فرحي وهو عزمني في فرحه".

**ج- الشباب والمكان الثالث والاستعمالات المستحدثة للمجال العام:**

إن القراءة الحداثية النقدية لمفهوم المجال العام، تسمح بإضفاء جوانب جديدة على استعمالاته، خاصة عند الحديث عن المكان الثالث حيث ظهرت استعمالات مختلفة ومتعددة لاستخدام المجال العام، وتعكس هذه الاستعمالات المستحدثة أبعاداً اجتماعية وثقافية وسياسية جديدة، كما تحوي جوانب مادية ورمزية تؤكد جميعها على أن هناك تغيراً كبيراً طرأ على المفهوم، وعلى وضع الشباب داخل المجال العام، أو في المكان الثالث الذي يضفي الحياة على مفهوم المجال العام، وهناك عدد من الاستعمالات الحديثة التي رصدتها الورقة البحثية للأماكن الشبابية منها:

**١- الحوار العقلاني:**

ربما يبدو استخدام المكان الثالث للحوار العقلاني كإستخدام تقليدي للمجال العام، إلا أن الفعل التواصلي الذي يعتمد على النقاش العقلاني الحر، والذي لا يظهر به أي شكل من أشكال القوة والقسر، ويعتمد على التواصل من خلال اللغة ظهر في الأماكن الشبابية، ولكن لم يظهر أشكال الخطاب النموذجي التي تهدف للبدء من المصلحة الخاصة للوصول للمصلحة العامة والوصول إلى الرأي العام كمنتج للحوار العقلاني والنقاش، فلم تظهر فكرة الجمعية والرأي الجمعي الواحد المتفق عليه، بل حوارات عقلانية متعددة حول موضوعات مختلفة، منها ما هو سياسي أو ديني أو رياضي وغيرها من الموضوعات؛ في ظل تأكيد أغلب الشباب من العينة عدم رغبتهم في ممارسة أي عمل سياسي فيما عدا أحد الشباب الذي قال "ساندت والدي في أحد الانتخابات مجبراً، أنا مش مقتنع لكن كان لازم"، أما العمل التطوعي فبعض الشباب تطوع في جمعية أهلية مرات غير منتظمة وآخرون مارسوا نشاط داخل الجامعة، أو مع وزارة الشباب ولكن بدون انتظام ومن تخرج منهم لم يكمل ممارسة العمل التطوعي. وكانت هذه إشارة في بدء الحديث عن استخدام المكان الثالث في الحوار العقلاني، للإشارة لعزوف الشباب عن ممارسة الأفعال ذاتها والانحصار في دائرة الحوار والانسحاب من المشاركة الفعلية، وقد تركزت أغلب المناقشات كما أشار الشباب حول الموضوعات الرياضية العامة، وإن كان حدث تحول والانتقال من الاهتمام الرياضي بكرة القدم المحلية إلى الدولية والاهتمام بمباريات الدوري الإنجليزي والأسباني، وخاصة مباريات ليفربول بسبب محمد صلاح الذي أصبح ظاهرة في كل حديث رياضي للشباب والشابات.

أما الموضوعات السياسية أو الحوار السياسي فأشار الشباب لندرته، حيث يمكن أن يكون هناك نقاشات سياسية أغلبها اعتراض على سياسة الدولة كما أشار أحد الشباب

"كثير بنتكلم في السياسة وبنحاول نوطي صوتنا لو المكان مش واخدين عليه مثلاً كنا بنعترض على تيران وصنافير، لكن بنتكلم ومستحيل ناخد موقف، أحنا لو فكرنا نعمل حاجة غير الكلام هنلاقيه فوق دماغنا، سواء من أهلنا اللي هما متعصبين أو من الحكومة، وعلشان كده بنكبر دماغنا وملناش دعوة". وأشار آخر إلى أنهم "يتناقشوا قليلاً في السياسة وآرائهم دائماً شبه بعض، وآخر حوار حول الدستور وتعديل الدستور، وبعض الشباب كان بيعمل في مكان حساس وأخبرنا أن "فكرة وجود وافدين في اللجان تتيح التزوير، وأنها حاجة مش مقنعة خالص وأنهم كانوا متضايقين ولكن ما باليد حيلة". وقد يتطرق البعض لموضوعات سياسية خاصة ولكنها قليلة عندما تمس أحدهم كما أشارت شابه إلى أن آخر حوارتها كانت حول وضع نقابة المحامين الذي تعترض عليه".

كما أكد العديد من الشباب أن الحوار السياسي ليس أمراً دائماً بل هو قليل يرتبط بأحداث كبرى كتعديل الدستور الذي كان هناك اتفاقاً ضمنياً بين أغلب المجموعات الشبابية التي ينتمي إليها الشباب حول رفض التعديل، ولكنهم اختلفوا حول الإدلاء بالصوت الانتخابي أم الانسحاب ولكن أشار الشباب إلى أن الخلاف بينهم حول الموضوعات السياسية قليل، فكما يشير أحد الشباب "إحنا عندنا خمول سياسي وعدم رضا". وهو الأمر الذي يحتاج إلى الاهتمام وتحفيز الشباب على العمل السياسي حيث يبدو الشباب هكذا كقوة مهدرة، خاصة في ظل اعتراضهم على سياسات الدولة كما ذكر أحد الشباب "أن المشاريع التي تقام لا تفيد الشباب بشكل مباشر". وأكدت ذلك فتاة أخرى بقولها "إحنا معترضين على الوضع المادي اللي أصبحنا فيه" حيث يشير أحد الشباب أنهم تناقشوا حول "دور الدولة في تحديد الأولويات، وإن اقتصاد الدولة مش في الضروريات وأن هناك استنفاذ لموارد الدولة بدون عائد مادي". وهكذا يظهر أنه ورغم وجود أفكار لدى الشباب تحتاج للاهتمام فإنها لا تخرج إلى النور.

أما الموضوعات الثقافية فقد أكد الشباب على أنها نادرة جداً فتقول إحدى الشابات أن "الموضوعات الثقافية التي نناقشها نادرة جداً، وآخرها نتكلم عن رواية"، ويؤكد ذلك شاب آخر بقوله "وأنا في الجامعة كان ممكن نقرأ كتب ونتكلم عنها، لكن دلوقتي احنا معندناش وقت آخرنا نقعد نعلق على فيلم".

أما الحوار الديني العقلاني فقد كان له مكاناً بارزاً على طاولة الحوار، والذي أفرز ثقافة شبابية مميزة حيث أكد الشباب على أنهم يتناقشوا حول الحجاب وهل هو فرض أم لا. وتشير إحدى الفتيات غير محجبة إلى أنها "رفضت عريساً تقدم لها لأنه يرى الحجاب غير مفروض على المرأة"، وكذلك يشير الشباب إلى وجود حالة من "التفتح الزائد، يعني واحدة نعرفها بتنزل صورها بمايوه على البحر وصور غريبة" وهذا ما أشارت له إحدى الفتيات حول مناقشتهن الدينية وهذا الحديث يكثر أكثر في تجمعات الفتيات فتؤكد فتاة أخرى "يعني إحنا هنرجع زي زمان أحنا كنا بنتكلم إزاي بنات بتلبس بكيني وبتصلي و Life style غريب يعني بتسبح لربنا ومجنونة، وإن الناس ديه بتقول علاقتي بربنا محدش ليه دعوة بيها". ويؤكد الشباب من الذكور أن هناك موجة من الحوار عن الإلحاد اليومين دول فيشير أحد الشباب "إحنا بقى فيه وسطنا ناس كتير عندها استعداد تلحد، غير اللي الحدوا وفيه موجة عالية من التشكيك في اسنة وده كله بسبب اللي بيشفوه في التليفزيون ومن الناس المتشددة".

وبالقطع فإن هذه النقطة شديدة الحساسية ولابد من الاهتمام من الأزهر والمؤسسات التعليمية والخروج من دائرة النمط التقليدي في الخطاب إلى نمط حداثي لا يبتعد بالشباب عن الدين وثوابته من عقيدة وسنة بل تجذبه إلى الدين ليكون من دعائم

استقرار المجتمع، ولبنه نبني عليها مجتمعاً صالحاً، ويكون الخطاب الموجه للشباب ممن لهم "الأهلية اللسانية للحديث" والتي أشار إليها "بورديو" في حديثه عن "السوق اللغوية"، يجب أن يكون هناك استغلال لتلك السوق في المجال العام، بإعطاء المجال لمن لهم الأهلية الاجتماعية اللسانية وحق في الكلام من خلال وضعهم الاجتماعي والديني وغيره من العوامل. (بير بورديو: ٢٠١٢، ص١٧٣) وضرورة عدم استخدام اللغة المهيمنة عند التعامل مع الشباب والنزول إلى تلك السوق باستخدام أساليب خطاب عقلاني حر وغير عدائي، ولكثرة الحوارات والنقاشات الدينية غير التقليدية فقد خلق الشباب هابتوس شبابي وثقافية دينية فرعية جديدة، سنشير لها لاحقاً.

**٢- المكان الثالث والترفيه:**

عند عرضنا لمفهوم المكان الثالث فقد أشرنا إلى أنه خارج نطاق مسئوليات العمل أو المنزل، وأن الحوار به يميل إلى المرح، ولهذا بالقطع فإن الفرار من نطاق العمل أو الدراسة والمنزل، سيدخل الشباب في دائرة الترفيه ومحاولات الخروج من الملل. حيث أشار الشباب والشابات أن الهدف الأساسي من التواجد بتلك الأماكن يكون الترفيه، وما يتضمنه من تناول مشروبات وطعام فهناك أماكن تكون للترفيه شبه اليومي لتغير الجو عند بعض الشباب، فيكون التجمع للكلام أو "النم والرغي والأكل هو أكتر حاجة بنعملها" كما أشارت إحدى الشابات. أما الشباب فبعضهم يذكر "أنه يذهب للكافيه لتدخين الشيشة ولعب الطاولة والكوتشينة، وأحياناً في أماكن كافية عادية عندها Play station ممكن نلعب عادي نستريح شوية من ضغط العمل". وأحياناً ما تلعب الفتيات أيضاً ألعاب مختلفة وهو نمط ثقافي جديد حيث تقول إحدى الشابات "إحنا بنزل نغير جو وممكن نلعب لعبة اسمها Phase ten ولعبة اسمها Squence وهي بورق الكوتشينة، وساعات كل واحد ممكن يمسك موبايله حسب المود اللي إحنا فيه". ولا يعتبر الترفيه الألعاب وتدخين الشيشة فقط بل أحياناً يكون استخدام المكان الثالث للترفيه من خلال الإنفراد بالذات فتشير شابة لذلك "كتير لما الاقي نفسي مخنوقة، أمشي في الشارع، وأدور على مكان قاعدته حلوة أقعد فيه لوحدي مع نفسي علشان ارتاح". وهكذا فإن الانفراد بالذات وتوفير مناخ فردي خاص، ربما يحدث مع التواجد المكاني كثيف العدد خاصة في ظل وجود وسائل الاتصال الحديثة، التي أتاحت للشباب مزج الوجود الجمعي مع الوجود الفردي في ذات الوقت، كما يشير أحد الشباب عادي "أنا ممكن أكون في مكان لوحدي وقاعد على الموبايل واللاب مع نفسي".

**٣- مساندة النسق التعليمي:**

يعد هذا الاستخدام أو الاستعمال للمكان الثالث، هو نمط حداثي بدرجة كبيرة حيث، أظهر البحث الميداني وملاحظة الشباب، استخدام الكافيهات خاصة ذات الطابع الحداثي المعولم، والتي تحوي Wifi مجاني، في التعليم، حيث ظهرت مجموعات شبابية عديدة تقوم بالدراسة أو القيام بالبحث، خاصة في الأماكن القريبة من مدارس ومراكز دروس خصوصية أو جامعات، فظهرت جروبات أو مجموعات للمذاكرة سواء منفردة أو جماعية، ومن مظاهره القيام بتقسيم عمل لمشروعات وأبحاث جماعية والتي تشكلت غالباً من مجموعات من فتيات وشباب، وقد أكد ذلك أحد الشباب بقوله "أحياناً كنا نتفق مع زميلات الجامعة ونذاكر في مكان عام مع بعض". وفي كثير من التجمعات يظهر أحد الشباب ليلعب دور المعلم للآخرين أو ليدير الجروب التعليمي، وهذا دور حداثي مختلف لأماكن تجمع الشباب.

**٤- مجال للقاءات العمل:**

ورغم أن المكان الثالث كجزء من المجال العام يفترض أن يكون مكاناً خارج نطاق العمل، إلا أنه يبدو أن الأوضاع الاقتصادية في المجتمع المصري انعكست على استخدام المكان الثالث لدى الشباب المصري، حيث استغل بعض الشباب المكان في إقامة بعض المشروعات فيشير أحد الشباب لذلك "لقد كنا دايماً نقعد في أماكن زحمة وإحنا طلاب علشان كده فكرنا نعمل مشروع نستغل التواجد البشري في المكان، ففكرنا في مشروع أرز بلبن استمر شهرين". كما يظهر أيضاً شاب حديث التخرج يعمل في مجال الطب اهتمامه بهذا التواجد البشري فيفتح عيادته، أمام الكافيه الذي يجلس به دائماً، بل ويعتمد على الموقع المكاني لعيادة الأسنان الخاص به، ليكون موقع جذب لرواد المكان الذي يعد أحد زبائنه الدائمين. كما نجد أن الزبائن المنتظمون لهم وضع مميز، ويحدث أحياناً تبادل للمصالح فيشير أحد الشباب لذلك بقوله "أنا مهندس كمبيوتر وقد صممت الموقع الإلكتروني وصفحة للكافيه، وأخذت فلوس بالتقسيط". ويؤكد ذلك أحد الشباب بقوله "إحنا بنبقى عارفين لو فيه مهندس ممكن يرسم الشقة وكده يعني اللي يعرف حاجة ممكن يعملها".

كما قد يكون المكان الشبابي وتجمع الشباب مجالاً لاتخاذ قرارات جماعية لبعض التجمعات الشبابية وافتتاح مشروعات فأشار أحد الشباب لذلك بقوله "إحنا قررنا فتح محل Play station واحنا في الكافيه، وقررنا نفتحه بعد التخرج خاصة إننا كنا بنتقابل كل يوم الفترة ديه وكلمنا السمسار وقابلناه في الكافيه".

كذلك يكون المكان الثالث "Meeting Point" مكان لقاء للعمل كما يشير أحد الشباب "إحنا ممكن نعمل اجتماعات في الكافيهات خاصة اللي دايماً نروحها". وقد لوحظ أيضاً أن اجتماعات العمل قد تكون لأفراد لا يعرفون بعضهم فنجد دون مكان للقاء حول العمل وظهر ذلك في أكثر من تجمع فكان هناك حوارات حول ديكور بعض الأماكن والنسب التي يحصل عليها الأفراد ولم يكن بادياً أن الشباب يعرفون بعضهم جيداً. كما قد يكون التجمع في تلك الأماكن خطوة انتقالية لبعض الشباب، كما أشار أحد الشباب أنه غير مكان اللقاء من الكافيهات، وقام وأصدقائه بالاتفاق على استئجار مكتب للعمل، توفيراً للنفقات حيث أن اللقاءات المتكررة داخل تلك الأماكن الشبابية ربما يكون بذات المقابل الاقتصادي أو التكلفة التي يمكن أن يتكبدونها لدفع إيجار مكتب، ولذلك اتخذت إحدى المجموعات الشبابية قراراً للانتقال بالعمل من الكافيهات كمكان ثالث إلى مكتب ومقر حقيقي للعمل. وهذا بالقطع استعمال حداثي للمجال العام، وهو غير تقليدي وهنا يصبح المكان الثالث نقطة انطلاق أو عودة للعمل أو للمكان الثاني.

**٥- الاستعمال الثقافي ما بين التراجع والاختفاء:**

إن بداية الاهتمام بالمقاهي وأماكن التجمعات والصالونات الأدبية كأساس للمجال العام ركزت على الدور الثقافي الريادي لها، حيث لعبت دوراً في كونها تنظيمات سوسيو ثقافية في المجتمع الأوروبي وكذلك قبل ثورة ١٩١٩ في المجتمع المصري، وهو الأمر الذي لم يظهر عند البحث الميداني فنقطة البدء كانت حول التجمعات الثقافية للشباب، وعند البحث الميداني لأحد أشهر المقاهي الثقافية بوسط البلد ظهر الدور الثقافي في المكان كملمح من ملامح عبق الماضي والتاريخ، بل ظهر في ثنايا وجه العاملين من كبار السن وملابسهم العتيقة وفي لوحات المكان الذي ربما احتفظ أيضاً بالأتربة القديمة في أرجائه وعلى اللوحات المعلقة بجدرانه، ومقالات الصحف القديمة التي تناولت دوره التاريخي. فقد تحول المقهى الثقافي إلى مطعم وبار في ذات الوقت حيث أخبرني عامل المكان بأنه

من الضروري أن يتضمن ما نطلبه مأكولات وقد كان الزبائن بداخل المكان من كبار السن أيضاً ولم يظهر أي من الشباب، وقد أكد ما قد لمسناه من تغير للدور التاريخي للمكان المقابلة مع حفيد صاحب المقهى والذي أشار في المقابلة إلى أنه "لا يوجد مناقشات ثقافية الآن، منذ ٢٠٠١ والوضع مختلف خالص، وهو أصلاً مفيش مثقفين إحنا هنجيبهم منين، والشباب مبقاش يجي هنا، حتى الشباب المثقف مش بيحب يتكلموا كتير، وأنا مش ناوي اشتغل هنا أنا اتعلمت Management في جامعة .... بس بفكر أغير المجال وأتعلم أسنان لإنها مريحة أكثر، أنا بس منتظر الجيش علشان كده قاعد هنا". وهكذا يظهر أن الدور الثقافي لم يظهر خلال البحث الإمبريقي، وربما يمكن أن الكشف عنه بتخصيص دراسات منفصلة حوله. ويظهر من العرض السابق أن هناك استحداثاً في استعمالات المجال العام غير التقليدي، حيث اتسم المكان الثالث باستخدامات عديدة وجديدة ومعاصرة.

**د- المكان والنوع:**

إن التوسع في بناء أنماط مختلفة من الكافيهات والأماكن الشبابية الحديثة، خاصة الكافيهات ذات الامتداد الغربي والعالمي والخروج خارج نطاق المقاهي الشعبية التقليدية، ساهم في إحداث تغيرات نوعية في الجماهير أو الزبائن خاصة من جمهور الفتيات وانعكس ذلك التغير على عدد من النقاط:

١-**التواجد العددي:** أحدث الامتداد العمراني وزيادة أعداد أماكن تجمع الشباب خاصة في وسط المدن والأحياء السكنية إلى زيادة أعداد النساء والفتيات خاصة في فئة الشباب، وكانت تلك سمة مميزة لأغلب الأماكن والكافيهات الشبابية حيث أظهر البحث الميداني تواجد الفتيات للعمل وللترفيه وللدراسة مثلهن مثل الشباب بالضبط.

٢-**التواجد الزمني:** أتاحت الأماكن الشبابية المستحدثة للفتيات في مصر، فرصة التواجد ليلاً تلك الفكرة التي كانت مستهجنة من قبل الأسرة المصرية، فتشير إحدى الشابات لذلك "أنا باخرج بليل طبعاً يعني كنت ممكن أقعد لحد ١٠ مساء أو ١١ مساء، لكن بعد كده بلاقي ماما واقفة بالشبشب وتبقى خناقة، لكن دلوقتي أنا اتجوزت وبقيت بتأخر براحتي ولكن لو اتأخرت قوي جوزي بيعدي عليا ويقعد معانا شوية وياخدني، بس الغريبة إن أختي الصغيرة اللي لسه في ثانوي، بتتأخر عادي، وماما وبابا خلاص مبقوش يتكلموا". وتؤكد تلك الفكرة فتاة أخرى بقولها "أنا أخري ١٠ مساءً وممكن ١١ لو اتأخرت بيزعلوا، لكن هيعملوا إيه، وساعات كتير بتأخر لإني معايا عربية وبكون بوصل البنات علشان الوقت اتأخر، وبقولهم لكن في أوقات ممكن اتأخر أكتر يعني عيد ميلاد أصحابي مثلاً أو سحور في رمضان مع الشغل أو صديقاتي بقولهم وهما بيتقبلوا". ونلاحظ هنا أن وجود الفتيات ليلاً لوقت متأخر نسبياً، لم يصبح معياراً للحكم على الفتاة وأخلاقها بشكل كبير، خاصة في ظل السماح لكثير للأسر ذات الشرائح المتوسطة والعليا للفتيات بالسهر في أعياد ميلاد الأصدقاء من النوعين أو حضور سحور رمضاني وهو الأمر الذي قد كان يمكن أن يكون جريمة في فترات ثقافية مختلفة، أي أصبح هناك قبول ثقافي نسبي للتغير، وأجبر الشباب الأسر على تقبل ذلك الهابيتوس الشبابي الجديد بقيمه الشبابية المختلفة.

٣-**تقبل الاختلاط:** لوحظ أن كثير من المجموعات المتواجدة في تلك الأماكن يغلب عليها طابع الاختلاط، وأن تكون مزيجاً من الشباب والشابات وإن كانت مسببات الاجتماع تختلف فكما أوضحنا بعضها يكون للعمل وأخرى للمذاكرة وحتى للترفيه فكما تشير

إحدى الشابات "إحنا ممكن نتجمع مع أصحاب الجامعة أو المدرسة القدامى في مكان محترم، وطبعاً بقول لأهلي عادي". ويعد ذلك شكلاً أيضاً مستحدثاً على العقل التقليدي المصري، وإن لم يتغير كلية ولكنه أصبح أكثر قبولاً للإنفتاح النوعي الذي أجُبر كثير من الأهالي على التعامل معه بشيء من المرونة الثقافية، والتي خلقتها ثقافة الشباب المتعولم الجديدة.

٤-**الشيشة النسائية:** من أكثر أنماط التغير استحداثاً هي الشيشة النسائية، فعندما تطأ الأقدام أي مكان أو كافيه يقدم الشيشة أو الأرجيلا يتعجب فوراً من أعداد النساء وكبار السن والفتيات صغار السن اللائي يدخن الشيشة أو الأرجيلا كما يطلق عليها، وذلك بكل ارتياح. بل أحياناً تكن النساء في صحبة أزواجهن، ولم ألاحظ وجود فتيات صغار بصحبة الأهالي فعادة في فترة البحث كانت الشابات في تجمع شبابي إما مختلط أو من الشابات فقط، أما السيدات الكبار فلم يكن وجود الرجل معيار في تدخين الشيشة من عدمه، وربما ذلك يكون بسبب أنه لازالت الثقافة الأم لا تتقبل تدخين الشيشة بنفس درجة الثقافة الشبابية التي ترى أن هذا الأمر حرية شخصية من منظور الشباب فتؤكد إحدى الشابات "يمكن أن الستات بتشرب شيشة كنوع من إخراج غضبهم من شيء، فبيكون النفخ مريح لهم، وأنا عادي صديقاتي بيشربوا شيشة، وأنا شربت معاهم بس قليل، خصوصاً بعد الزواج جوزي مش بيحبها ومرة كنا خارجين ولما قام من جنبي شربت شيشة وزعل مني". وإن كانت شابة أخرى تشير "أنا بابا خلاني أدوق الشيشة لما طلبت منه، لكن مشربتهاش طبعاً، وعلى فكرة طعمها حلو"ن ويؤكد فكرة تقلص الاستهجان الثقافي لتدخين الأرجيلا أن الشباب ورغم عدم قبولهم لتدخين زوجاتهم أو أخواتهم للشيشة إلا أنهم يؤكدون على عدم الحكم على الفتاة من هذا المنظور فقط فيقول أحد الشباب "عادي بقى ممكن يبقى فيه بنات كويسة تشرب شيشة مش زي زمان". وبالفعل إن الالتزام حتى ولو بالمظهر الديني لم يعد يرتبط بتدخين الشيشة فعلى سبيل المثال كانت فتاة عشرينية محجبة تدخن الشيشة والسجائر الإلكترونية في ذات الوقت، وأكد لي عامل بالمكان أن هذا أمر عادي ومألوف يومياً ويؤكد هذا على وجود تغير ثقافي يرتبط بالأماكن المستحدثة، أو المكان الثالث والشباب الذين يسعون لبناء هويات مخالفة لما هو تقليدي ومحافظ.

**هـ- المكان والثقافية الشبابية الدينية الفرعية (الهايبتوس الشبابي الجديد):**

أظهر البحث الميداني هنا ما أشار إليه أصف بيات من أن الشباب المصري يتبنى نظرية "التجديد المتكيف" "Accommodating Annovation" حيث يحاول أن يكيف مطالبه الشبابية مع المعايير السياسية والأخلاقية ولو بشكل نسبي، وأن الشباب المصري ذوي الرؤية العالمية يدفع أو يشجع إقامة ثقافة دينية فرعية جديدة، تكشف عن توجهات تبدو متناقضة، فهم يروحون ويجيئون بين الاستماع إلى عمرو دياب والاستماع إلى عمرو خالد. فالسمة الرئيسية التي تميز الوسط المعيشي الفكري (الهابتوس) للشباب هي المراوحة (التفاوض) بين النزعة الشبابية والنزعة الدينية (أصف بيات: ٢٠١٤، ص ص ٢٧٨: ٢٨١).

إن هذه المراوحة بين النزعة الشبابية والنزعة الدينية داخل المكان الثالث تظهر في عدد من التناقضات والتحولات الواضحة التي أشار إليها الشباب في المقابلات منها:

- تناقض الديني مع اللاديني؛ حيث أشار أحد الشباب أن "أكثر الأماكن اللي ممكن الاقي فيها مناقشات دينية هي الأماكن اللي بتقدم خمور، لا، وأحياناً من شباب بتشرب ويتكلموا عن تربية الأولاد الدينية".

- تناقض السلوك مع المظهر؛ فتشير إحدى الشابات "إن ممكن نكون في مكان ويكون بنات متحررة جداً في لبسها وتصرفاتها، وتلاقيها بتصلي وتسبح وتقول لنا محدش ليه دعوة ديه علاقتي بربنا".
- التحول السريع من الديني إلى الترويحي والعكس؛ حيث أكد أحد الشباب "إننا ممكن نكون في كافيه مع بعض وحد يقترح نصلي التراويح في رمضان فنروح نصلي، ونرجع نكمل بولة كوتشينة بسرعة لحد الفجر"، وهذا التحول السريع يمثل سمة شبابية مميزة يعجز عن الإتيان بها الكبار.
- امتزاج الفكر الليبرالي الحر مع الفكر الديني بشكل متكامل؛ ويظهر ذلك في رفض عدد من الشباب لتناول الخمور والإقتناع بكونها حرام من منظور ديني، وموافقتهم على الجلوس في أمكان بها خمور أو مع شباب يحتسي الخمر على إعتبار أن ذلك حرية شخصية لا نتدخل بها رغم أن الدين يمنع ذلك بل يشير أحد الشباب إلى عدم رفضه لتقديم الخمور بقوله "صراحة الأماكن اللي بتقدم خمور دايماً بتكون نظيفة وبتحافظ على مستواها"، فنجد كثير من الشباب أشاروا إن الأمر حرية شخصية وكل واحد له حرية اختيار ما يفعله.

وعلى النقيض من ذلك ومن ذات المنظور يرفض كثير من الشباب الأماكن التي تمنع المحجبات بإعتبار ذلك الأمر اعتداء على الحرية الشخصية كما أجمع الشباب في المقابلات، ويؤكد ذلك شاب بقوله "الأماكن اللي بتمنع المحجبات ديه أماكن رجعية، ومبحبش أروح لهم، بنفس Concept الحرية لا أمنع ناس معينة، هما بيمنعوا المحجبات علشان المظهر العام من وجهة نظرهم". وتشير إحدى الشابات إلى تعرضها هي نفسها لموقف فتقول "عيد ميلاد صاحبتي كان في مكان بيمنع المحجبات، وطلبوا إني اعمل سبانش وأغير شكل الطرحة، لكن أنا رفضت طبعاً أنا ممكن أعمل سبانيش عادي بمزاجي مش فرض من المكان عليا، بصراحة مروحتش هو يعني المحجبات هما اللي هيبوظوا شكل المكان".

وقد تبين أن العلاقة بين المكان الثالث والشباب قد أفرزت أشكال ثقافية دينية مختلفة عن الأنماط المتعارف عليها، ونحن لسنا بصدد تقييم سلوك الشباب أو استهجانه، ولكن بالفعل أظهر الواقع أن هناك لتبني "نظرية التجديد المتكيف" لدى الشباب المصري والتي أشار لها "أصف بيات"، وإلى ظهور وسط معيشي فكري أو هابيتوس شبابي ديني مختلف عن الأنماط التقليدية، خاصة في ظل تأثير المكان حيث حاول الشباب المراوحة بين ما هو ديني وما هو ليبرالي، وسواء اخطأ الشباب أو أصاب فإننا أمام ثقافة شبابية دينية فرعية تحتاج إلى الدراسة لتنقيح ما هو مغلوط بأشكال غير مباشرة، ولتحديد قواعد مقبولة من الناحية الدينية والاجتماعية للمكان الثالث وذات طابع شبابي مرن.

**ز- المكان والاحتجاج السلبي:**

ورغم أن الحديث على المكان الثالث كإنعكاس للمجال العام، لم يتطرق لحراك جمعي، أو رأي عام مشترك للشباب إلا أن الشباب في أماكن تجمعاتهم وفي وسطهم الشبابي يمكنهم أن يمارسوا الاحتجاج السلبي، وظهر ذلك من خلال المقابلات حيث أشار أغلب الشباب أنهم كانوا يتناقشون في قضايا سياسية في أماكن متفرقة ومنها تعديل الدستور فيقول أحد الشباب "لقد أجمعنا بشكل ضمني على أننا مش هنروح وأنه لا داعي للتعب". وتؤكد شابة أخرى "أحنا اتفقنا أنه لا جدوى من الانتخابات، واختلفنا على نروح

نبطل الصوت، ولا لأ"، وهكذا فقد يظهر أن الشباب حتى وإن بدا غير مهتم بالأمور السياسية وأنه لا يشغلهم الشأن السياسي عندما يجتمعون معاً. إلا أنهم يدخلون فى حوار عقلاني ويقومون بممارسة نمط من الاحتجاج السلبي. ويظهر أيضاً هذا النمط من الاحتجاج السلبي في المكان الثالث، عندما يطالبون بالحرية الفردية، ومواجهة كل ما يعوق ذلك فنجد أنماط من الاحتجاج حول رفض الأماكن التي ترفض المحجبات، ومقاطعتها وإن لم تكن مقاطعة كاملة، ولكن غالبية الشباب أكدوا على تلك الفكرة في المقابلات.

ورغم عدم ظهور الحراك الجمعي داخل المكان أو هوية جمعية واحدة داخل المجال العام للشباب في المكان الثالث، إلا أنه قد تظهر مواقف يتحرك بها الشباب معاً، للدفاع عن وسطهم الشبابي وبلا أي اتفاق أو تواصل مباشر معاً، فيظهر الاحتجاج السلبي والاحتجاج الجمعي التلقائي الشبابي ويشير لذلك شاب بقوله "إحنا كنا في كافيه ..... وكان فيه عدد ٤ ترابيزات ناس ثابتة مش عارفين بعض، لكن دايماً موجودين، وصاحب الكافيه اتعامل بشكل مش كويس معانا، فنقلنا إلى كافيه بجواره، وتلقائي وبدون تواصل أو حوار انتقل كل الشباب معنا وكنا كتير جداً، وحصل مرة تانية كافية كان مُصر على رفع السعر، برضه سبناه واحنا متكلمناش مع بعض ومن غير أي حاجة خذوا بالكم الشباب بيفهموا بعض من غير ما يتفقوا".

وبالقطع فإن هذا الاحتجاج السلبي يحمل في طياته، طاقة جبارة من قدرات الشباب الكامنة والتي يجب أن توجه بشكل إيجابي لتوظف لخدمة المجتمع وليس الإنسحاب منه، والاكتفاء بالإنغلاق حول ذواتهم.

### ح- سلطة المكان Authority of Space:

من المفترض أن البشر وممارستهم هم من يهيمنون على الأماكن، ولكن قد يصبح للمكان سلطته الممارسة على البشر وهذا ما توصلنا له من البحث، حيث كما ذكرنا من قبل أن The Spatial is Social حيث يفرض المكان في علاقته بالشباب سلطته على أولئك الشباب أحياناً، تظهر ملامح تلك السلطة في عدد من المظاهر:

**١- الملبس:**

حيث أكد الشباب أن كل مكان أو كافيه يكون له لبس، فكما يشير أحد الشباب "إحنا ممكن المكان اللي بنروحه كتير نلبس أي حاجة مريحة وخلاص، لكن لو هاروح مكان شيك مثل ..... مش هلبس Sweat Pants أكيد"، وأكد على ذلك شاب آخر بقوله إنه أحياناً "لو حد لابس لبس مش كويس، الأمن على الباب يقوله أن مفيش مكان علشان ميدخلوش، علشان كده لازم نلبس كويس جداً في أماكن معينة"، وتؤكد على ذات الفكرة شابة أخرى بقولها "فيه أماكن معينة لازم ألبس Over class وأشيك حاجة، لإن المعاملة عندهم بتفرق حسب اللبس ولو رحت لابسة أي كلام المعاملة بتكون سيئة، ويا سلام لو واحدة لابسة ميني بيتعاملوا معاها بشكل مختلف في بعض الأماكن". وسلطة المكان على الملبس وإن لم يفرضها المكان بشكل رسمي، فإن جمهور الشباب ذاته ربما يفرضها على الآخرين بنظراتهم فتشير إحدى الشابات لذلك بقولها "كنا في كافيه .... على النيل، ودخل واحد مصري لابس جلابية كلنا كنا بنبص ومستغربين جداً، ما هو لازم المكان يحافظ على مستواه". ولا تنحصر سلطة المكان على الملبس فقط بل قد تنعكس أيضاً على نوعية الزبائن ومستواهم الطبقي.

**٢- نوعية الجمهور (الزبون):**

وتمارس تلك السلطة بشكل مباشر كمنع المحجبات للحفاظ على شكل محدد للمكان، أو بشكل غير مباشر من خلال رفع الأسعار، أو السيطرة على الدخول من خلال بعض الطرق المستحدثة كما أشار أحد الشباب "نسبة كبيرة من الأماكن النضيفة بتصر إن الحجز من خلال message على Facebook علشان يدخل على صفحتك ويعمل selective (اختيار) للزبون هو بيدور على منظر محدد عايزه في المكان". ويرى بعض الشباب أن هذه السيطرة مستحيلة حيث يشير لذلك بقوله "هو المكان فيه طبقات مختلفة مهما حاول لإنه ممكن يسيطر على مستوى مادي محدد ولكن إجتماعي صعب ممكن ابن ..... يكون أغنى وأعلى مني بكتير ولابس كويس". كذلك تظهر سلطة المكان في بعض الممارسات التي قد تفرض بشكل تلقائي داخل المكان.

**٣- اللغة والصوت:**

حيث أن كل مكان له أساليب الحوار وأنماط التواصل التي تتلائم معه، حيث يفرض كل مكان بشكل غير مباشر هويته على المتواجدين، فيشير أحد الشباب "يعني أنا لو قعدت في قهوة بلدي أكيد صوتي هيبقى عالي وممكن نشتم ونهزر خصوصاً أنه عادة مفيش بنات بناخد راحتنا ولكن لو مكان شيك فكل واحد لازم يبقى هادي والصوت لازم يكون واطي جداً وإلا كل الموجودين هيبصوا علينا"، ويؤكد ذلك شاب آخر بقوله "في أماكن الواحد ببقى مش مرتاح فيها في الكلام، يعني لو صوتي أو أسلوبي مش حلو، هلاقي كل الناس بيحكموا علينا، فأبدأ أضبط نفسي وأخد بالي وده مش مريح ليا أنا بحب أهزر في أي وقت". ولا تظهر سلطة المكان على الملبس وتحديد الزبون وأساليب التواصل اللفظي واللغوي والحركي فقط بل تتخطى ذلك ليخلق المكان بناء قوة تخيل، ويعطي مزايا لبعض الزبائن من خلاله.

**٤- بناء القوة المتخيل:**

حيث أن المكان الثالث قد يمنح بعض زبائنه الأكثر تواجداً أو الزبائن الدائمين موقعاً مميزاً عن غيرهم في بناء القوة المتخيل، ويظهر كما سبق أن أوضحنا في حجز أماكن متميزة، أو في عدم فرض حد أدنى للمشروبات، ويكسب هذا الوضع المميز رأسمال اجتماعي للشباب الذين يحتلون موقعاً متميزاً في بناء القوة فيشير أحد الشباب لذلك بقوله "لما كنت في الجيش أخذت الصول المسئول عني إلى الكافيه ... بعد ما بعت message للـ owner قلت له إني جي مع صول في الجيش، وطلبت فطار رمضان، ونزلوا فطار ممتاز ومرضيش ياخد الحساب كمان، وقال إني صاحب مكان، وطبعاً أخده بعد كده لإنه كان مبلغ كبير، وديه طبعاً كانت رسالة علشان يعرف مين اللي معاه". ويوضح هذا الموقف أن التواجد الدائم في المكان أصبح رأسمال اجتماعي مكتسب كما حدث في هذا الموقف حيث تم استخدام الكافيه للإشارة للمستوى المادي والاجتماعي للشباب، وبهذا قد ينعكس الوضع في بناء القوة المتخيل في المكان على مكانة الشاب في أماكن أخرى كما ظهر في هذا الموقف. ومن العرض السابق فقد أكد البحث الميداني على أن الأماكن الشبابية يفرض عليها الشباب الهابيتوس الشبابي الخاص بهم، ويخلقون ثقافتهم الشبابية داخله، فإن المكان أيضاً قد يمارس سلطته على الشباب وتظهر ملامح هذه السلطة في السيطرة على الملبس ونوعية الجمهور واللغة وأنماط التواصل وكذلك في رسم أبنية قوة متخيلة.

**سابعاً: مناقشة ختامية لنتائج الدراسة:**

نعرض لها محورين:

**أ- المجال العام الشبابي في الأماكن الشبابية غير تقليدي ومعاصر:**

بدا المجال العام الشبابي كفضاءات ومجالات متنوعة ومتعددة، ولم تبدو ملامح لكون الرأي الجمعي العام هدفاً يسعى الشباب لتحقيقه، فالرأي العام ليس منتجاً مستهدفاً للمجال العام في الأماكن الشبابية، وإن بدا المكان الثالث مسرحاً للحوار العقلاني الذي لا يعتمد على القوة والقهر وتظهر به المساواة ولا مجال للهيمنة وإن كان بعض الأفراد لديه قدرات تنظيمية لتنظيم الحوار أو اللقاء ولكن بلا حضور مهيمن ربما حضور مؤثر ومنظم لا مهيمن، واللغة المستخدمة واحدة داخل كل جماعة وإن كانت مختلفة بإختلاف المكان وسلطته، وظل الهدف من استخدام الخطاب العقلاني هو الوصول للتفاهم والفهم فقط، وقد لعبت الأماكن الشبابية أدواراً مستحدثة وغير تقليدية، عكست علاقات متداخلة بين المجال العام الشبابي والأنساق المجتمعية الأخرى ومنها:

١-**المجال العام الشبابي مسانداً للنسق التعليمي والاقتصادي:** حيث كان المكان الثالث ونظراً للظروف الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع المصري مكاناً داعماً للنسق التعليمي من خلال التجمعات الشبابية التعليمية والتي استخدمت بعض الأماكن كسنتر تعليمي مصغر، كما ساند النسق الاقتصادي حينما استخدم المكان لإقامة بعض مشروعات الشباب، أو لإجراء لقاءات العمل، أو لتبادل الخدمات المهنية بين الشباب كنوع من المساندة الاقتصادية.

٢-**المجال العام الشبابي كمجال للاحتجاج السلبي على النسق السياسي:** حيث رغم اعتراف الشباب داخل الأماكن الشبابية، بوجود حالة خمول سياسي وعدم رغبة في الفاعلية السياسية إلا أن المناقشات السياسية العقلانية التي دارت بين الشباب، كانت تتسم بالاحتجاج السلبي، وانعكست على مواقف مثل مقاطعة بعض الانتخابات أو إبطال الصوت، والاعتراض على أداء الحكومة وإدارتها للمشروعات.

٣-**المجال العام الشبابي وإضفاء مرونة على النسق الثقافي:** حيث أن المجال العام الشبابي أجبر الأسر ذات الثقافة التقليدية على تقبل بعض التغيرات الشبابية، والممارسات في المكان الثالث مثل تقبل خروج الفتيات ليلاً أو الاختلاط النسبي وغيرها من الممارسات التي كانت تلاقي بدرجة عالية من الاستهجان الثقافي.

وأخيراً لم يظهر الـ DNA للكافيه الأوروبي القديم الذي أشار إليه "Aksel T Jara" حيث لم يظهر المكان الثالث كمكمل لتنظيمات سوسيو ثقافية، وربما ظهر في بعض الأماكن الأخرى التي لم يتطرق لها البحث الميداني وتحتاج إلى دراسات أخرى، خاصة وأن الأماكن الشبابية أضفت الكثير من الحيوية على المجال العام المعاصر، وربما غيرت من ملامح المفهوم بشكل كامل مما يحتاج لمزيد من الدراسات والفهم له.

**ب- المجال العام الشبابي والهابيتوس الشبابي الجديد:**

لم يظهر المجال العام الشبابي كمجال عام مراقب للسلطة أو سلطة مضادة، كما يشير البعض واتفق هنا مع دراسة "دريس نوري" حول ظهور هذا المجال الشبابي غير مؤثر على صناعة القرار، وإن كان مؤثراً على بعض الأنساق المجتمعية كما أوضحنا، وذلك بما أفرزه من ثقافة شبابية متميزة، واستخداماته المستحدثة للأماكن الشبابية، حيث شكل الشباب داخل تلك الأماكن "هابيتوس شبابي" ووسط معيشي فكري مميز واستخدم "التجديد المتكيف" محاولاً تكييف مطالبه الشبابية مع المعايير السياسية والأخلاقية ولو بشكل نسبي كما أشار "أصف بيات"، حيث شكل الشباب ثقافة دينية فرعية مميزة بها كثير

من المرونة ومزاوجة ما هو ليبرالي بما هو ديني بشكل واضح كما أوضحنا. وهكذا ظهر المجال العام الشبابي مميزاً بثقافة خاصة ولا يهتم بالتأثير في الرأي العام كنوع من الاحتجاج السلبي على الدولة وعلى سلطة الكبار ويكتفي بالاحتواء الذاتي والالتفاف على الذات في جماعات متعددة في كثير من الأماكن التي أحياناً لا يخترقها الكبار؛ ليس من خلال قوانين ولكنها سلطة المكان التي أفرزتها علاقة الشباب والمكان وخلقها الهابيتوس الشبابي الجديد في الأماكن الشبابية والذي يقوم على الالتفاف على الذات والتجديد المتكيف الديني والثقافي والاحتجاج السلبي والحوار العقلاني والمساواة في النوع*.

العلاقة بين الشباب والمكان أفرزت نوع من السلطة المهيمنة للمكان على الشباب، وظهرت سلطة المكان "Authority of Space" في التحديد الطبقي للجمهور (الزبائن) من الشباب، وكذلك السلطة غير المباشرة على الملبس واللغة بل وخلق بناء قوة متخيل للزبائن ووضعهم في هرم قوة تدرجي يكسب بعض الشباب رأسمال اجتماعي في المكان أكثر من غيرهم.

من هذا العرض يظهر المجال العام الشبابي والمعاصر داخل المكان الثالث أو الأماكن الشبابية اتسم بوجود وسط فكري ومعيشي مميز وحديث ومعاصر أي "هابيتوس شبابي جديد".

وبعد العرض السابق فإن هذه الورقة البحثية تخرج بتوصيات ختامية في محورين وهما:

١-**المحور الأكاديمي:** إنه على الأكاديمين اختراق هذا المجال الشبابي لمحاولة فهم تلك الثقافة الشبابية المميزة والتي تسعى للإنغلاق على ذاتها.

**المحور المجتمعي:** على المجتمع والدولة عدم تجاهل الشباب واتباع أنماط السيطرة والهيمنة على الشباب بأسباب واهية كالخبرة والسن، حيث يمثل الشباب طاقة مهدرة يجب الاستفادة منها؛ ورفع وصاية الكبار حتى لا يظل الشباب في نطاق ممارسات الاحتجاج السلبي بلا فعل إيجابي، وأن نحاول أن نترك الخطاب لمن لهم "الأهلية اللسانية" كما أشار "بورديو"، أو أن تقوم الدولة بتدريب فعلي وحداثي لبعض المثقفين ورجال الدين لينزلوا إلى السوق الشبابي أو المجال العام الشبابي لاستقطابهم، وعودتهم لدائرة الفاعلية بدلاً من دائرة الإنغلاق الذاتي.

**Abstract**

**Contemporary public sphere and third place**

**By Naira Alwan**

This study focus on constructing a coherent conceptual triad which combined the non-traditional public sphere (Contemporary), third place and youth Habbitus.

This study used a descriptive, explanatory and inductive approach. And focused on the places which was frequently visited by middle class youth. This research paper used observation and interview.

The study concluded that the youth public sphere is non-traditional and contemporary which acts as a supporter of the economic and Educational systems. Also the youth public sphere is characterized by the presence of new youth Habbitus and there is a special culture of youth.

The third place has an authority on youth reflected on clothing, class selection, language and by creating power structure inside the place.

**الهوامش**

* لم تظهر المساواة الطبقية لإقتصار جمهور تلك الأماكن على شرائح وسطى وعليا، بل بعض الأماكن يحاول الاقتصار على الشرائح العليا فقط.

## المراجع:

### أولاً- المراجع العربية:

١- أحمد زايد (٢٠١٠): أضرحة الأولياء في مصر: تحولات المكان بين التقليدية والحداثة، مجلة الفنون الشعبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر. (http://search.mandumah.com)

٢- أرماندو سالفاتوري (٢٠١٢): المجال العام والحداثة الليبرالية والكاثوليكية والإسلام، ترجمة أحمد زايد، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، القاهرة.

٣- إسلام بدران (٢٠١٧): المقاهي كحقل اجتماعي في مدينة رام الله، ماجستير في علم الاجتماع، جامعة بيرزيت، كلية الدراسات العليا.. دائرة العلوم الاجتماعية والسلوكية، فسلطين.

٤- أصف بيات (٢٠١٤): الحياة سياسة كيف يغير بسطاء الناس الشرق الأوسط، ت: أحمد زايد، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، مصر.

٥- أماني المهدي (٢٠ مارس ٢٠١٨): المجال العام من الواقع الفعلي إلى العالم الافتراضي، معايير التشكل والمعوقات، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية. (democratic ac.de16-4-2019)

٦- بيربورديو (٢٠١٢): مسائل في علم الاجتماع، ت: هناء صبحي، الطبعة الأولى، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة. (www.nor.book.com)

٧- تشارلز تايلر (٢٠١٣): المتخيلات الاجتماعية الحديثة، ت: الحارث النبهان، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، سلسلة ترجمان، الطبعة الأولى، بيروت.

٨- جيلان عبد الحي عبد الحميد الزيني (٢٠٠٤): تأثير التغير الاجتماعي على دور المقهى: دراسة ميدانية لبعض المقاهي في بيئات اجتماعية متباينة، معهد الدراسات والبحوث البيئية، ماجستير الدراسات الإنسانية، مركز النظم للدراسات وخدمات البحث العلمي، مصر. (www.alnodom.com)

٩- دريس نوري (٢٠٠٧): استعمال المجال العام في المدينة الجزائرية، دراسة ميدانية على حديقة التسلية في مدينة سطيف وساحة طاوس عمروش في مدينة بجاية، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة محمد منتوري، قسطنطينية، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية. (https://bu.muc.edu.dz)

١٠- رشيد العلوي (٢٠١٤): الفضاء العمومي من هبرماس إلى نانسي فريزر، مؤمنون بلا حدود، أبحاث محكمة. (www.mominoun.com Nov, 2014)
١١- رشيد العلوي (٢٠١٦): الفضاء العمومي المعارض: نقد أطروحة هابرماس، مؤسسة مؤمنون بلا حدود (٣١) ٦ أكتوبر، ٢٠١٦، (www.mominoun.com Feb, 2018).
١٢- السيديس (٢٠٠٨) الخميس ٣ يوليو: المجال العام والفضاء المعلوماتي، جريدة الاتحاد.
١٣- عصام عبد الله (٢٠٠٦): يورجن هبرماس سيرته وفلسفته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
١٤- فريـــال بنت محمد الهاجري (٢٠٠٣): المقاهي الترفيهية أبعادها الديموجرافية والاجتماعية والاقتصادية (دراسة تطبيقية للمترددات على مقاهي مدينة الخبر)، مجلة العقيق، نادي المدينة المنورة الأدبي، المملكة العربية السعودية.
١٥- محمد عولا علي: التحولات البنائية للمجال العام في مجتمع ما بعد الحداثة، تحليل خطاب الأحزاب السياسية في إقليم كردستان من سنة ٢٠٠٥ إلى ٢٠١٣، رسالة ماجستير في الآداب، قسم الاجتماع، جامعة الإسكندرية.
١٦- يحيى اليحياوي (٢٠١٥): الشبكات الاجتماعية والمجال العام بالمغرب: مظاهر التحكم والدمقرطة (Studies.alJazeera.net17/4/2019)

## ثانياً- المراجع الإنـــجليزية:

17- Abbott Lucy M (June 7, 2016): The conceptual public sphere and Its problems Habermas, political action and the Arab states, Journal of international political Theory, Sage Journals, Vol. 12, UK.
18- Ari Adut (2013): A Theory of the public sphere, ASA, Vol. 30, Issue 4. (https://doi.org)
19- Arne Brita Ytre- (2011): Women's magazines and the public sphere, European Journal of communication, Vol. 26, Sage pub, UK.
20- Downey John (2014): Flux and the public sphere, media, culture and society, Vol. 36, Issue 3, Sage Journals, UK.
21- Downey John and Fenton Natalie (2003): New media, counter publicity and the public sphere, new media and society, Vol. 5 (2), Sage publication, London. (https//Journals.sage17-4-2019).
22- Eriksen Erik Oddvar (2005): An Emerging European public sphere, European journal of social theory, Vol. 8, Sage journals, UK.
23- Feisch Adrian Rauch (2017): The public sphere as an essentially contested concept: Aco- citation analysis of the last 20 years of public sphere research, communication and the public, Vol. 12, 1, Journals Sage pub.
24- Fuller Martin G and Low Martina (2017): Introduction: Anvitation to spatial sociology, current sociology Monograph, Vol. 65 (4), Sage Journals.
25- Gunartane Shelton A. (2006): Public sphere and communicative Rationality: interrogating Habermas's Euro centrism, Journalism and communication Monographs, Vol. 8, 2.
26- Habermas Jurgan (1991): The Structural Transformation of the Public Sphere, translated by Thomas Burger, the Mit press, Cambridge, Massachusetts.
27- Jahnson Pauline (2001): Habermas's Search for the public sphere, European Journal of social Theory, 4 (2), sage publications, London.
28- Katrin Anne (2008): Defining the public sphere in 3 pragraphes. (blogs.worldbank.org).
29- Kaul Volker (2017): Religion, rights and the public sphere, philosophy and social criticism, Vol. 43. (http://doi.org16-4-2019).
30- Kellner Douglas (2018): Habermas, the public sphere/ and Democracy: Acrirical Intervention, 1992. (www.gseis.vxla.edu 3-2018).

31- Kraidy Marwan M, Krikorian Marina (2017): The Revolutionary Public sphere: The Case of the Arab uprisings, communication and the public, Sage Journals, UK. (Journals.Sagepub.com15-5-2019).
32- Persson Erik, Neto Luis Moretto (2018): Ideology and discourse in the public sphere: Acritical discourse analysis of public debates at a Brazilian public university, Discourse and communication, Sage Journals, Vol. 12, 3, UK.
33- Rahman Md Mizanur (November, 21, 2018): The making of An Islamist Public Sphere in Bangladesh, Asian Journal of comparative politics, first published, Sage Journals, UK.
34- Scott John (2006): Sociology The key concept, Routledge, London and New York.
35- Thorsen Einar, Sreedharan Chindu (2019): End male Guardianship: Women's right, Social media and the Arab public sphere, New media and Society, Vol. 21, 5.
36- Tjora Aksel and Scambler Graham (Editors) (2013): Café society, palgrave, macmillan, USA.
World Bank (March 2018): The public sphere, towards a new Agora, communication for Governance and Accountability Program. (Site resources. Worldbank.org).